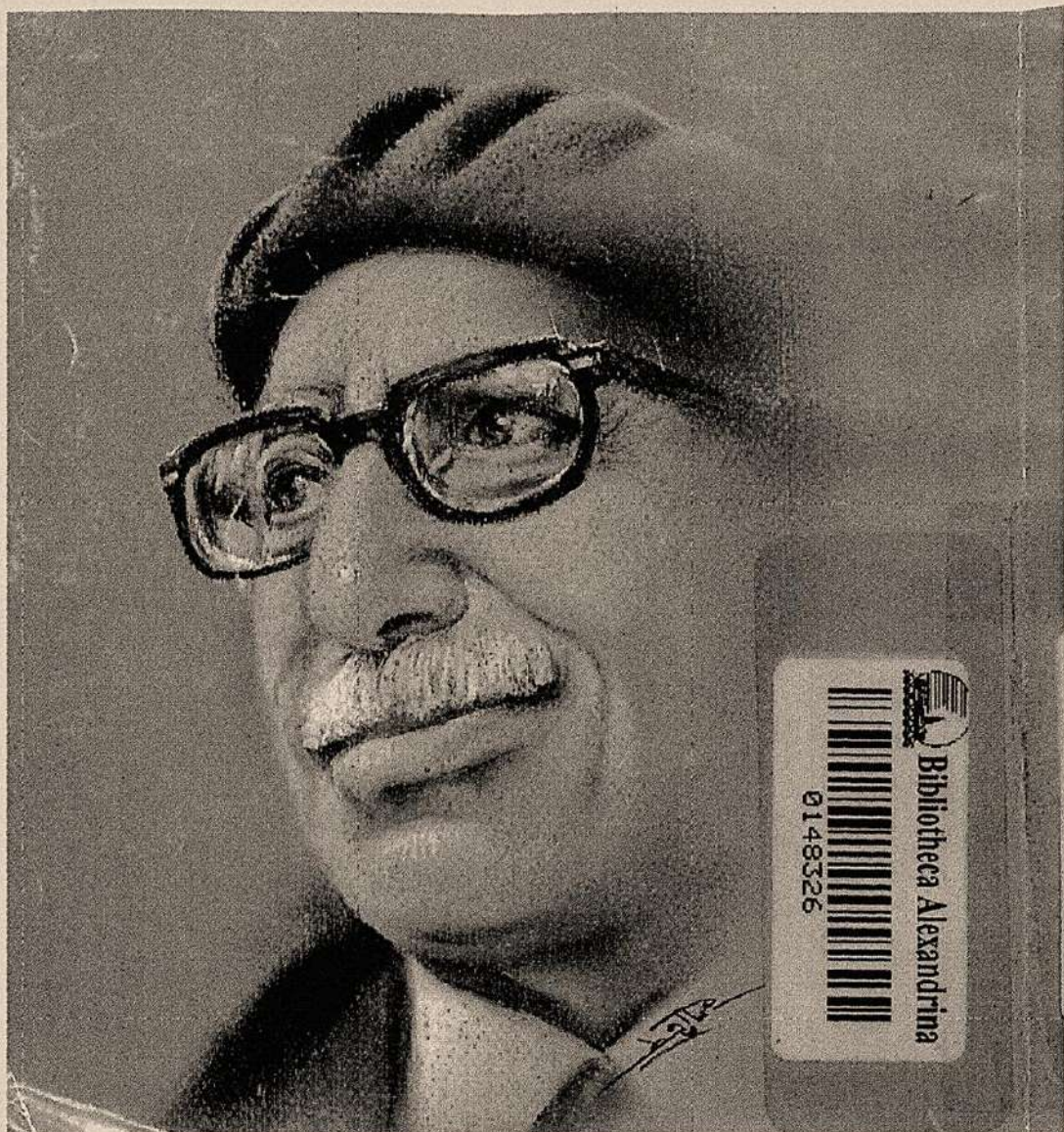




ثورة الشباب

توفيق الحكيم



Bibliotheca Alexandrina



0148326

توفيق الحكيم

ثورة الشباب

الناشر
مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الجيزة

دار مطر للطباعة
سعيد جودة السحار وشركاه

كتب للمؤلف نشرت باللغة العربية

- ١٩٣٦ — محمد عليه السلام (سيرة حوارية)
- ١٩٣٣ — عودة الروح (رواية)
- ١٩٣٣ — أهل الكهف (مسرحية)
- ١٩٣٤ — شهر زاد (مسرحية)
- ١٩٣٧ — يوميات نائب في الأرياف (رواية)
- ١٩٣٨ — عصفور من الشرق (رواية)
- ١٩٣٨ — تحت شمس الفكر (مقالات)
- ١٩٣٨ — أشعب (رواية)
- ١٩٣٨ — عهد الشيطان (قصص فلسفية)
- ١٩٣٨ — حمارى قال لى (مقالات)
- ١٩٣٩ — براكسا أو مشكلة الحكم (مسرحية)
- ١٩٣٩ — راقصة المعبد (روايات قصيرة)
- ١٩٤٠ — نشيد الأنشاد (كما فى التوراة)
- ١٩٤٠ — حمار الحكيم (رواية)
- ١٩٤١ — سلطان الظلام (قصص سياسية)
- ١٩٤١ — من البرج العاجى (مقالات قصيرة)
- ١٩٤٢ — تحت المصباح الأخضر (مقالات)
- ١٩٤٢ — بجماليون (مسرحية)
- ١٩٤٣ — سليمان الحكيم (مسرحية)
- ١٩٤٣ — زهرة العمر (سيرة ذاتية — رسائل)
- ١٩٤٤ — الرباط المقدس (رواية)

- ٢٢ — شجرة الحكم (صور سياسية) ١٩٤٥
- ٢٣ — الملك أوديب (مسرحية) ١٩٤٩
- ٢٤ — مسرح المجتمع (٢١ مسرحية) ١٩٥٠
- ٢٥ — فن الأدب (مقالات) ١٩٥٢
- ٢٦ — عدالة وفن (قصص) ١٩٥٣
- ٢٧ — أرنى الله (قصص فلسفية) ١٩٥٣
- ٢٨ — عصا الحكيم (خطرات حوارية) ١٩٥٤
- ٢٩ — تأملات في السياسة (فكر) ١٩٥٤
- ٣٠ — الأيدى الناعمة (مسرحية) ١٩٥٩
- ٣١ — التعادلة (فكر) ١٩٥٥
- ٣٢ — إنزيس (مسرحية) ١٩٥٥
- ٣٣ — الصفقة (مسرحية) ١٩٥٦
- ٣٤ — المسرح المنوع (٢١ مسرحية) ١٩٥٦
- ٣٥ — لعبة الموت (مسرحية) ١٩٥٧
- ٣٦ — أشواك السلام (مسرحية) ١٩٥٧
- ٣٧ — رحلة إلى الغد (مسرحية تنبؤية) ١٩٥٧
- ٣٨ — السلطان الحائر (مسرحية) ١٩٦٠
- ٣٩ — يا طالع الشجرة (مسرحية) ١٩٦٢
- ٤٠ — الطعام لكل فم (مسرحية) ١٩٦٣
- ٤١ — رحلة الربيع والخريف (شعر) ١٩٦٤
- ٤٢ — سجن العمر (سيرة ذاتية) ١٩٦٤
- ٤٣ — شمس النهار (مسرحية) ١٩٦٥

١٩٦٦	٤٤ — مصير صرصار (مسرحية)
١٩٦٦	٤٥ — الورطة (مسرحية)
١٩٦٦	٤٦ — ليلة الزفاف (قصص قصيرة)
١٩٦٧	٤٧ — قالبنا المسرحي (دراسة)
١٩٦٧	٤٨ — بنك القلق (رواية مسرحية)
١٩٧٢	٤٩ — مجلس العدل (مسرحيات قصيرة)
١٩٧٢	٥٠ — رحلة بين عصرين (ذكريات)
١٩٧٤	٥١ — حديث مع الكوكب (حوار فلسفي)
١٩٧٤	٥٢ — الدنيا رواية هزلية (مسرحية)
١٩٧٤	٥٣ — عودة الوعي (ذكريات سياسية)
١٩٧٥	٥٤ — في طريق عودة الوعي (ذكريات سياسية)
١٩٧٥	٥٥ — الحمير (مسرحية)
١٩٧٥	٥٦ — ثورة الشباب (مقالات)
١٩٧٦	٥٧ — بين الفكر والفن (مقالات)
١٩٧٦	٥٨ — أدب الحياة (مقالات)
١٩٧٧	٥٩ — مختار تفسير القرطبي (مختار التفسير)
١٩٨٠	٦٠ — تحديات سنة ٢٠٠٠ (مقالات)
١٩٨٢	٦١ — ملاح داخلية (حوار مع المؤلف)
١٩٨٣	٦٢ — التعاقدية مع الإسلام والتعاقدية (فكر فلسفي)
١٩٨٣	٦٣ — الأحاديث الأربعة (فكر ديني)
١٩٨٣	٦٤ — مصر بين عهدين (ذكريات)
١٩٨٥	٦٥ — شجرة الحكم السياسي (١٩٧٩ — ١٩١٩)

كتب للمؤلف نشرت في لغة أجنبية

شهر زاد : ترجم ونشر في باريس عام ١٩٣٦ بمقدمة لجورج لكونت
عضو الأكاديمية الفرنسية في دار نشر (نوفيل أديسيون لاتين) وترجم إلى
الإنجليزية في دار النشر (بيلوت) بلندن ثم في دار النشر (كروان)
بنيويورك في عام ١٩٤٥ . وبأمريكا دار نشر (ثري كنتنترا بريس)
واشنطن ١٩٨١ .

عودة الروح : ترجم ونشر بالروسية في ليننجراد عام ١٩٢٥
وبالفرنسية في باريس عام ١٩٣٧ في دار (فاسكيل) للنشر وبالإنجليزية
في واشنطن ١٩٨٤ .

يوميات نائب في الأرياف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٣٩
(طبعة أولى) وفي عام ١٩٤٢ (طبعة ثانية) وفي عام ١٩٧٤ و ١٩٧٨
(طبعة ثالثة ورابعة وخامسة بدار بلون بياريس) وترجم ونشر بالعبرية
عام ١٩٤٥ وترجم ونشر باللغة الإنجليزية في دار (هارفيل) للنشر بلندن
عام ١٩٤٧ — ترجمة أبا إيمان — ترجم إلى الأسبانية في مدريد عام ١٩٤٨
وترجم ونشر في السويد عام ١٩٥٥ ، وترجم ونشر بالألمانية عام ١٩٦١
وبالرومانية عام ١٩٦٢ وبالروسية عام ١٩٦١ .

أهل الكهف : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٠ بتمهيد تاريخي
لجاستون فييت الأستاذ بالكوليج دي فرانس ثم ترجم إلى الإيطالية بروما
عام ١٩٤٥ وبميلانو عام ١٩٦٢ وبالأسبانية في مدريد عام ١٩٤٦ .
عصفور من الشرق : ترجم ونشر بالفرنسية عام ١٩٤٦ طبعة أولى ،

- ونشر طبعة ثانية في باريس عام ١٩٦٠ .
- عدالة وفن : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس بعنوان (مذكرات قضائي شاعر) عام ١٩٦١ .
- بجماليون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- الملك أوديب : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ ، وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثري كنتنتسز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .
- سليمان الحكيم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (كنتنتسز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .
- نهر الجنون : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- عرف كيف يموت : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- الخرج : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- بيت الحمل : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- وبالإيطالية في روما عام ١٩٦٢ .
- الزمار : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- براكسا أو مشكلة الحكم : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- السياسة والسلام : ترجم ونشر بالفرنسية في باريس عام ١٩٥٠ .
- وبالإنجليزية في أمريكا بدار نشر (ثري كنتنتسز بريس) بواشنطن ١٩٨١ .
- شمس النهار : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثري كنتنتسز) واشنطن عام ١٩٨١ .
- صلاة الملائكة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثري كنتنتسز) واشنطن عام ١٩٨١ .

- الطعام لكل فم : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتز)
واشنطن عام ١٩٨١ .
- الأيدي الناعمة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتز)
واشنطن عام ١٩٨١ .
- شاعر على القمر : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتز)
واشنطن عام ١٩٨١ .
- الورطة : ترجم ونشر بالإنجليزية في أمريكا (ثرى كنتنتز) واشنطن
عام ١٩٨١ .
- الشیطان فى خطر : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠ .
- بين يوم وليلة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٠
وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٦٣ .
- العش الهادئ : ترجم بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- أريد أن أقتل : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- الساحرة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٣ .
- دقت الساعة : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- أنشودة الموت : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينان عام ١٩٧٣
وبالأسبانية فى مدريد عام ١٩٥٣ .
- لو عرف الشباب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- الكنز : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٥٤ .
- رحلة إلى الغد : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .
- وبالإنجليزية فى أمريكا بدار نشر (ثرى كنتنتز بريس) بواشنطن عام
١٩٨١ .
- الموت والحب : ترجم ونشر بالفرنسية فى باريس عام ١٩٦٠ .
- السلطان الخائر : ترجم ونشر بالإنجليزية فى لندن هاينان عام ١٩٧٣

وبالإيطالية في روما عام ١٩٦٤ .

يا طالع الشجرة : ترجمة دنيس جونسون دافيز ونشر بالإنجليزية في لندن عام ١٩٦٦ في دار نشر أكسفورد يونيفرستى بريس (الترجمات الفرنسية عن دار نشر « نوفيل إيديسيون لاتين » بباريس) .

مصير صرصار : ترجمة دنيس جونسون دافيز عام ١٩٧٣ .

مع : كل شيء في مكانه .

السلطان الحائر .

نشيد الموت .

لنفس المترجم عن دار نشر هاينمان — لندن .

الشهيد : ترجمة داود بشاي (بالإنجليزية) جمع محمود المنزلاوى تحت عنوان « أدبنا اليوم » مطبوعات الجامعة الأمريكية بالقاهرة — ١٩٦٨ .

محمد ^{صلى الله عليه وسلم} : ترجمة د . إبراهيم الموجي ١٩٦٤ (بالإنجليزية) نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية . طبعة ثانية مكتبة الآداب ١٩٨٣ .
المرأة التى غلبت الشيطان : ترجمة تويليت إلى الألمانية عام ١٩٧٦ ونشر روتن ولوننج بيرلين .

عودة الوعى : ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٩ لبيلي وندر ونشر دار ماكملان — لندن .

مقدمة

كل ثورة دليل حيوية ... والشباب هو الجزء الحيوى فى الجسم فلا عجب أن يقوم بالثورة الشباب . وقلما تكون هناك ثورة شيوخ ، لأن الشيخوخة هى تناقص الحيوية .
والثورة ما دامت متصلة بالحيوية فلا بد أن تكون منشطة لهذه الحيوية ومجددة لها ، وإلا اتخذت اسما آخر هو « الهوجة » .
والفرق بين « الثورة » و « الهوجة » هو أن « الهوجة » تقتلع الصالح والطالح معا ... كالرياح الهوج تطيح بالأخضر واليابس معا ، وبالشجرة المثمرة والشجرة الصفراء جميعا . أما « الثورة » فهى تبقى النافع وتستمد منه القوة .. بل وتصدر عنه أحيانا ، وتقضى فقط على البالى المتهافت ، المعوق للحياة ، المغلق لنوافذ الهواء المتجدد ، الواقف فى طريق التجديد والتطور .
ولكن المسألة ليست دائما بهذه البساطة . فالثورة والهوجة

تختلطان أحيانا ، إن لم يكن في كل الأحيان . فالثورة كى تؤكد ذاتها وتثبت أقدامها تلجأ إلى عنف الهوجة لاقتلاع كل ما كان قبلها .. وتجعل بداية كل خير هو بدايتها ، وتاريخ كل شىء هو تاريخها ...

ولا يتغير هذا الحال إلا عندما تشعر الثورة بصلاية عودها وتوقن أنه قد أصبح لها وجه واضح وشخصية متميزة ومكان راسخ في التاريخ العام ... عندئذ تنبذ عنها عنصر الهوجة وتأنف منه ، وتعود بكل اطمئنان إلى تاريخ الأمة العام لتضع كل قيمة في مكانها الصحيح ، وتضع نفسها في الحجم المعقول ، داخل إطار التسلسل الطبيعي لتطور أمة ناهضة ...

إذا عرفنا ذلك ، كان من الميسور أن نفهم حركات الأجيال الجديدة ، أو ما يسمى اليوم بثورة الشباب .

ما من أحد منا لم يشعر في شبابه برغبة ما في الانطلاق عبر بعض القيود ... ذلك مظهر من مظاهر الحيوية والحركة والتحرر وتأکید الذات . ولكى تؤكد ذاتنا ونبرز شخصيتنا الخاصة كان لابد لنا من الانفصال عن شخصية السلف ... ووسائلنا في ذلك

مفتعلة كوسائل كل ثورة في صباها ؛ وهى الرفض لكل ما يقوله السلف .

ولكن فى أيامنا نحن لم تكن الهوة سحيقة كما هى اليوم بين الآباء والأبناء . فلم يكن العالم قد شاهد بعد حروبا عالمية ، ولا مخترعات جهنمية ، كان كل شىء مستقرًا فى قوالب جامدة وصناديق مختومة ، والدنيا هادئة نائمة تغط فى عاداتها المرعية وتقاليدها المقدسة .

ولكننا اليوم فى عصر مستيقظ ، يموج بالتغيرات المستمرة والتحركات الفكرية والعلمية والسياسية التى تسبق كل خيال ، ما من شىء راكد ، أو يسمح له بالركود ... وما من شىء مقدس ، أو يسمح له بعدم الخضوع للبحث والمناقشة .

ووسائل الاتصال بين العالم من إذاعات وتلفزيونات وأقمار صناعية ، قد جعلت الأفكار فى تحررها وجموحها وسموها وانحطاطها فى تناول كل شخص .

مثل هذا العالم اليوم ، ما تأثيره على الشباب الذى يريد أن يؤكد ذاته ويكون له رأى فى تحقيق شخصيته ودور فى تشكيل المستقبل ؟ .

ذلك كله يجب أن نعيه ونضعه في اعتبارنا ونحن نواجه الشباب اليوم ، ومن واجبنا أن نبصره : أنه إذا كان من حقه أن تكون له ثورة ، فواجبه أن يعرف الفرق بين الثورة والهوجة .. عليه أن يدرس ما ييقه ويحافظ عليه ويضيف إليه ، وما يلقيه وينبذه ويطرحه بعيداً عن طريق نموه وتطوره وزمنه الجديد .

والحذر كل الحذر أن نواجه الشباب في كل حين بالوعظ والإرشاد ، أو أن نترك الجوهر ونحادثه دائماً عن المظهر ، ونظن القيامة قد قامت لاختياره شكلاً من أشكال اللبس أو غمطاً من أنماط شعر الرأس . وننسى أننا في شبابنا في مطلع القرن كان الشباب حتى من المعممين يختارون ألوان الجيب والقفاطين زاهية فاقعة من اللون الليموني الفاتح إلى البنفسجي والفسقي ، أما الشباب من المطربشين فكانوا يتبعون في شكل سراويلهم كل جديد مستحدث ، من البنطلون الضيق اللاصق ، إلى المتسع « الشارلستون » إلى المتخذ صورة القمع . وكانت السوالف تارة والشوارب المدببة تارة أخرى ، ثم بدعة الشارب الحليق التي قيل يومئذ إنها تخنث وتشبه بالنساء ، فأصبحت اليوم هي القاعدة

العامة السائدة بين الكبير والصغير .. كل هذه أشياء لا يليق بعصرنا الحاضر أن يعيرها اهتماماً .. وإن الكبار عندما يجعلون منها قضية يظهر أمام الشباب بمظهر السخافة والتفاهة ، ويفقدون في الحال الثقة والجدية والاعتبار ..

نحن الآن في عصر الفكر المتحرك ، ولا أمل في مواجهة ثورة الشباب إلا بوضعها في إطار الفكر والعقل والجوهر .

فلنترك للشباب حرية في اختيار الشكل الخارجى والداخلى لحياته كما يفرضها عليه زمنه الجديد ، ولا نطالبه إلا بشيء واحد : هو الإحاطة المتعمقة بحصيلة هذه الحضارة التى أوجدته ورضع من لبنائها ، ليحافظ وينمى ويضيف إلى خير ما فيها ، ويطرح ويغير ويمحو ما فيها من شر وزيف .. لأن مستقبل هذه الحضارة فى يده هو وحده .. وصورتها غداً سوف تكون كما يتصورها هو ويصورها ، فلتكن إذن للشباب ثورة ..

ولكن يجب أن يذكر دائماً الفرق بين « الهوجة » ، و « الثورة » ..

توفيق الحكيم

حلقات الأجيال

« الأجيال تتماسك في الأمم ، كما تتماسك

حلقات السلسلة الفقرية في الأجسام » .

الدنيا حلقات ...! كل جيل يجب أن يمد يده إلى الجيل الذي يليه ..! إذا تم ذلك في أمة فقد صح كياناتها واستقام ، شأن الجسم السليم بسلسلته الفقرية المتناسكة ، وإذا لم يتم ذلك فنحن أمام كائن سقيم ، انفصلت حلقات وجوده وانفصم عمود ظهره ، ولم يعد يصلح للبقاء ..! وإن كان من واجب القادة أن يرسلوا البصر إلى خمس سنوات أو عشر إلى الأمام ، يعدون خلالها برامج الإنتاج ؛ — فإن من واجبهم أيضًا أن يعدوا الرجال الذين يخلفونهم في مراكز القيادة ..! بهذا لن تكف عجلة التقدم عن المسير ...!

والإنتاج الفكرى ككل إنتاج — يجب ألا يشذ عن هذا

(ثورة الشباب)

المبدأ ، وعلى المفكرين أن يرسلوا ، هم قبل غيرهم ، ذلك النظر البعيد إلى حياة الفكر في خلال ما يستقبل من أعوام ، وأن يعدوا الأمر ، ليحتل غيرهم ما احتلوا من مقاعد ، وأن يمهّدوا الطريق أمام المواهب الجديدة ، لتظهر وتزهو وتؤتي ثمراتها !.. فإن السؤال الذى يجول دائماً فى الخواطر هو : ما الذى سيحدث فى العشرة أو العشرين عاماً المقبلة ؟.. هل الأمل معقود على طائفة من الأدباء يمكن أن تبرز بنوبتها فى الصف الأول ؛ لتمضى فى رفع مشعل الأدب والفكر فى هذا البلد ؟! أو أنه كما يقال : « ليس فى الإمكان أبدع مما كان ؟!... » .

رأى أن إمكان الإبداع ممتد فى كل أوان !.. فالإبداع شىء حى متحرك فى الزمان والمكان ، لا يتعلق بالماضى وحده ، ولكنه كالشجرة يمتد ويتطور فى مختلف الفصول ، يبدل ويغير فى أوراقه وفى مظاهر إيناعه وإثماره ، ماضيه متصل بحاضره ، وحاضره مرتبط بجبل مستقبله !.. إن المجهودات تبنى فوق المجهودات .. والمواهب تنبع من المواهب ، والإبداع يؤدى إلى إبداع .. والثمرة تخرج منها الثمرة ، وكل هذا فى فلك يدور ، ولا ينفك

عن الدوران إلى آخر الأزمان ...!

ونحن — إذا جلنا اليوم في حديقة الأدب العربى الحديث — وجدنا أشجارًا مملوءة بعصير الحياة ، يانعة بأزهار الفن ، لا ينقصها إلا أن ننظر إليها بعين الرضا ، وأن نتخيل ما ستكون عليه غدا من سموق وارتفاع ؛ فلا شيء يفسد الحديقة ويقفرها ويفقرها مثل أن نرى دائماً أشجارها شجيرات ، لن تكون يوماً ضخمة الجذوع وارفة الظلال !... يجب أن نروض عيوننا على أن ترى الأشياء والأشخاص فى غدها — لا فى حاضرها وحده ، وأن نعرف كيف نقرأ المستقبل من خلال سطور الحاضر !.. إذا استطعنا ذلك ، فما من شك أننا واجدون فى مختلف فروع الأدب أقلاماً ، سيكون لها من الصدارة وانقيادة فى الأعوام العشرة أو العشرين المقبلة ، مثلما كان لأصحاب الصدارة والبروز فى العشرة أو العشرين عاماً الماضية !...

فحديقة الشباب تزخر بأزهار طيبة الأريج ، لا سبيل هنا إلى تعداد صنوفها وألوانها !... وكل ما أردناه هنا هو أن ندعم الأمل فى غدا الأديب وأن نتساءل عن واجبنا إزاء هذه النخبة من أعلام

الغد — أولئك الذين يمسكون بطرف الخيط من وجودنا ليصبحوا غدا امتدادنا — وأن نحاسب أنفسنا ، نحن الذين تقدمناهم في حلقة الزمن ، عما صنعناه من أجلهم ، وعما يجب أن نصنع بالوارثين لتتأجج جهودنا !.. قبل كل شيء يجب أن نعلم : أهم حقا في حاجة إلينا ؟.. وأى نوع من المعونة هم مفتقرون إليه ؟... أهو مجرد اهتمام بأعمالهم ؟... ما من شك في أن الاهتمام خير نافخ في همة الفنان ، فإن الفنان لا يصبر طويلا على الإنتاج لنفسه !.. إنه يعمل كي يسمع لعمله صدى ... إنه زهرة تعيش بأشعة من نظرات الناس !... أخيرا كانت تحمل تلك النظرات أم شرا . إن الفنان لا يهدمه الذم ولا القبح بل يدعم وجوده . إنما الذى يهدمه حقا « الإهمال » !... كفته منسوج من العنكبوت ، ومدفنه تحت غبار النسيان ، ومن خيرة الفنانين من توهم أنه مهمل فدفن فنه حيا ، وانطلق يجد في عمل آخر من أعمال الدنيا ، لا صلة له بأدب ، ولا بفن ، فخسره الفن والأدب !...

لا بد إذن من التنويه بأعمال الفنانين والأدباء ، وإشعارهم ،

من حين إلى حين ، أن رسالاتهم إلى قلوبنا وعقولنا قد وصلت ،
وأنا لجهودهم شاكرون ، ولما زايأهم عارفون !... ولكن ما هي
الطريقة ؟... ما من شك في أن علينا نحن أن نصنع شيئاً من أجل
الذين جاءوا بعدنا ؟... لطالما اتهمنا بالأثرة والانصراف عن
مساعدة الآخرين ، وربما كان في هذا الاتهام بعض الصواب ؛ فقد
شغلنا عن ذلك زمنًا .. لا عن أثره وحب ذات ، بل لتوهم طبيعي
أننا نستطيع أن نحمل في الأدب كل الأعباء !..

ولعل هذا من دوافع العمل المشروعة ؛ أن نتصور أنه لن يتم
شيء إلا بأيدينا نحن !... فلقد جاهدنا كثيرًا ، وأنفقنا أغلب
العمر في التكوين والإعداد واستكمال الأداة الفنية ؛ كما لو كنا
نحن وحدنا المنوط بهم فتح الحصون وبناء القصور !...

ولكن الحياة علمتنا أننا لن نستطيع أن نفعل أكثر من شق طرق
ووضع أسس ، وعلى غيرنا أن يبنى !... شعورنا اليوم شعور من
يولد له الولد على كبر !.. إنه يفتق فجأة على نظرة أخرى إلى
الأشياء : إنه لن يرى نفسه مركز دنياه ، المسئول وحده عن
الرسالة ... ولكنه يرى دنياه حلقات يكمل بعضها البعض ،

ويرى أن صغيره لم يولد عبثًا ، بل خلق ليكمل شيئًا لن يستطيع هو إتمامه ، وأن عليه منذ اليوم واجبًا آخر غير مجرد الإنتاج ؛ عليه أن يعين خلفه على الوقوف على قدميه ، ليحمل « بدوره » رسالته على منكبيه !...

غير أن المشكلة التي تخيرنا دائمًا هي : وسيلة المعونة !... أهى في تجنب الجيل الجديد أخطاءنا ؟... أم هى فى إشعاره بأخطائه ؟... أهى فى إعدادة قبل الظهور ؟... أم فى إظهاره قبل الإعداد ؟... ثم أولئك الذين قطعوا فى فئهم شوطًا ، وظهروا بعض الظهور ، وبدت مواهبهم متألفة كقطع النور ، أعلينا إزاءهم واجب ؟... ما هو ؟... وما السبيل إلى الوفاء به ؟... إنا جميعًا لعل استعداد أن نؤدى واجبنا ، ولن نحجم عنه أبدًا إذا عرفنا الوسائل وملكنا الأسباب !...

* * *

تبعات الأجيال

كل جيل مسئول عن أفكاره التي قد تتسرب — بعلمه أو بغير علمه — إلى نفوس الأجيال الجديدة .. لذلك يحسن تفسير تلك الأفكار من حين إلى حين ، حتى لا يساء فهمها !...

من ذلك أنى رأيت بعض الشبان ينزحون اليوم إلى بلاد الغرب في طلب العلم ، فيصطدمون بحياة أخرى وحضارة أجنبية ... فإذا هم أحياناً ، يفكرون ويشعرون شعور « محسن » وتفكيره في كتاب « عصفور من الشرق » يوم ذهب بعد الحرب العالمية الأولى إلى الغرب ... فهم يهيمون مثله باحثين هناك عن « الروح » ... وتسيطر على تفكيرهم مثله فكرة واحدة : هى روحانية الشرق وعظمتها ومواضعها ومنابعها !.. ثم يسرون خلف « محسن » الآخر في كتاب « عودة الروح » ينقبون كما نقب عن منبع ميراثهم الثقافى والروحى ، فى « رواسب » الآلاف من السنين الكامنة فى

ضمير مصر . ريفها وأهلها الصادقين ! .. ويعتزون مثله بأصالة
الشعب المصرى ، ويرددون ألفاظه المباهية بعراقة حضارته. !..
لملح .

من الخير بالطبع ، أن ندع هذا الشباب يعيش فى مثل هذه
المشاعر والأفكار !.. لكن من الخير أيضًا أن نقول له : قدس
ماضيك دون أن تذهب فى ذلك التقديس إلى الحد الذى يجعلك
توصد روحك دون تلقى كل جديد ينفعك ، ولو كان ذرة من
أشعة !... اغترف بشجاعة من كل منبع ، وخذ من كل ميراث
لتثرى نفسك ، ويتسع أفقك !..

هذا قول من واجبى أن أكرره دائمًا !...

فالخطر على غدنا كل الخطر من ذلك الفهم المحدود لكلمة
« طابعنا » ، ومن تلك الفكرة التى تجعل الشباب يتخذ من
روحانيته الشرقية ، ورواسب حضارته المصرية سجونًا وحصونًا
تعزله عن تفكير العالم ، وتمنعه من المساهمة فى النشاط الفكرى
الإنسانى العام بقوة وشجاعة ، دون أن يرى بهلع فى الثقافة الغربية
أو الحضارة الأجنبية غيلًا تستطيع أن تخطف بسهولة روحه من

بين جنبيه !... إن روحنا أقوى وأعمق من أن تغطي عليه حضارة من الحضارات .. فلماذا كل هذا الخوف من مواجهة الحضارات الأخرى ؟!...

كل من أراد أن يكتب عندنا قصة حرص على أن يكتب تحتها بخط واضح : « قصة مصرية » !... وعنى بأن يجرى حوادثها في الأحياء الوطنية ، ويصبغها صبغاً عنيماً بالألوان المحلية !... كل ذاك ليقنع نفسه بأنه يصنع فناً قومياً ذا روح مصرية أصيلة .. كل هذا نوع من مركب النقص أو من الخوف لا مبرر له .. إن الروح المصرى الأصل يستطيع أن يطبع أى موضوع يمسه ، ولو كان فى محيط أجنبى ، كما استطاع الروح الإسلامى أن يطبع فن العمارة ، الذى استنبطه من الوثنيين والبيزنطيين !... وكما استطاع « شكسبير » أن يطبع بشخصيته الأساطير التى نقلها عن الإيطاليين ، والدانمركيين ، والشرقيين !...

بل إن جانباً كبيراً من الآداب الكبرى يتعمد أن يتخذ موضوعه بلاداً و أشخاصاً أجنبيه عنه ؟... وهو ممتلئ الثقة بأن الموضوع الأجنبى ، لا يؤثر مقدار شعرة فى لون الطابع الشخصى لهذا

الأدب !... هذا هو الأدب القوى الواثق بنفسه ، يطبع بخاتمه ما شاء من موضوعات ، ويدع علمه يرفرف على ما شاء من بلاد !...

فكرة أخرى تحتاج إلى تفسير ، نشرت منذ أعوام في صفحة ١٠٥ من كتاب « تحت المصباح الأخضر » هذه السطور :
« .. إن سفور المرأة في مصر قد سبق سفور الأدب !... من أجل هذا نرى أن جانبًا كبيرًا من أدبنا الحديث ، مازال أدبًا « حبيسا » تفوح منه رائحة الحجرة المغلقة !... أدب صناعة ، وأدب « علب محفوظة » من التعبيرات المستعارة ، والأساليب والدراسات المستخرجة من خزائن الأقدمين !...

أما أدب الهواء الطلق ، أدب التعبير عما في أعماق النفس في حرية وأمانة وإخلاص ، أدب الحياة النابضة بتفاصيل المشاعر الآدمية . هذا الأدب الخارج من القلب ؛ ليخاطب كل قلب على وجه البسيطة ، هذا الأدب العالمى الذى يؤثر في نفس كل أمة وكل جنس وكل آدمى ؛ لأنه ينبع صافيًا خالصًا حارًا من قلب آدمى ؛ هذا الأدب حظنا منه قليل ، لأن حظنا من الصراحة والصدق

قليل !... » إلخ

هذا كلام جرت به الأقلام اليوم كثيرًا .. كما رددت الألسن عبارات « الفن والحياة » و « الفن والشعور » و « الفن والصدق » .. إلخ .. ما يدل على أن معنى الأدب أخذ يتحول إلى الاتجاه المشر ، في مجتمعنا المعاصر .. لكن هل معنى ذلك أن نكف عن النظر في كتب الأقدمين ؟

أرى من واجبي أيضًا أن أوضح ... لقد أحيت وزارة المعارف ذكرى أبي العلاء المعري ، وأخرجت كتاب « سقط الزند » فعكفت على مطالعته من جديد ! .. وأخرجت من ذلك أقول : فن هذا العبقري « رهين الحبسين » .. أهو فن هواء طلق وقلب وشعور وحياة ؟ أم هو فن رجل ضريح حبيس حجرة مغلقة يمتعنا حقًا !... ولكنه إمتاع لا يثير عواطفنا ، بقدر ما يثير تفكيرنا ، ولا يهز قلوبنا بقدر ما يهز رؤوسنا ، ولا نجد فيه اللذة سهلة ميسرة ، ولكننا نبلغها بذهننا بعد كد وجد وغوص ؟ ! .

إذن يجب أن أوضح للشباب كلامي المطلق الذي نشرته منذ

أعوام ، وأن أقول لهم إن الشعور الحار وحده ، بما يثيره من انفعال ؛ ليس هو كل الفن ، ولا هو خير الفن في بعض الأحيان ؛ لأن المتعة التي تأتي من غير غوص ، هي في أكثر الأحوال رخيصة !... وآلام « فتر » العاطفية أقل رتبة في نظر « جوتة » نفسه ، وتاريخ الأدب من « فاوست » الذهنية !. غموض قولي السابق ، أتى من أنى لم أحدد معنى « القلب » !.. القلب في الفن هو الصدق — لا الصدق بمعناه الضيق ؛ المقصور على الشعور العاطفي أو الوجداني — بل أيضًا صدق الشعور بحقيقة فكرة من الأفكار !..

على هذا النحو يجب كذلك تحديد معنى « الحياة » في الفن !... ما من شك أن الفن هو تعبير عن الحياة .. وليس من السهل تصور فن منفصل عن الحياة ، إلا أن نتمثل فن الزخرف الإسلامي الذي لا يصور زهورًا ، ولا طيورًا ، ولا حيوانًا !... ويقوم على تخطيط هندسي !.. فن عريق بديع لا شك فيه ، ولكن نسبته إلى الحياة التي نعرفها تحتاج إلى مشقة في التخريج !... هذا التجريد الذهني في الزخرف الإسلامي ، يماثله التجريد الذهني في

الفن المصرى القديم ، بخطوطه الرئيسية العارية من اللحم والدم ...! لقد كان همه أن يحى الفكرة فى الحجر — لأن يقرب الحجر حياة كما فعل الإغريق ...

مهما يكن من أمر تفضيلنا هذا النوع أو ذاك ، فإن اختلاف العقليات والاتجاهات والأنواع فى الأدب والفن ، يحملنا على أن نوسع معنى « الحياة » حتى تشمل كل هذه الألوان من الآداب والفنون ...

لا بد أن تكون « الحياة » فى الفن ليست بعض ما يقع فى العالم الخارجى ويضطرب فيه الإنسان بحسه ومشاعره فقط — بل أيضًا كل ما يقع فى العالم الداخلى ويستخرجه الإنسان بفكره وذهنه وتأملاته ...! إن الحياة فى الأدب والفن هى الحياة كلها — الحياة الكاملة ، بمعناها الواسع العميق — تلك « الحياة » التى تسكن فى كل جزء من أجزاء الإنسان الحى فى قلبه ، وفى غريزته ، وفى حسه وفى رأسه ...!

* * *

ذلك بعض من تلك الأفكار التى تركناها تسعى من جحور

الكتب إلى وعى الشباب دون انتباه !... حبذا لو عدنا من حين إلى حين ؛ بأيدينا أو بأيدي غيرنا من النقاد والباحثين ، نراجع ما نشرنا ، ونسترجع ما أصدرنا ، لنعيده مفسراً مجدداً ؛ كما تفعل المصارف المالية عندما تسترجع من أيدي الناس أوراق العملة القديمة لتردها في حالة جديدة !...

انفصال الأجيال

العلاقة بين الأجيال ظاهرة طبيعية ، تسترعى دائماً النظر ، وتستوجب الدراسة والبحث ، ولكنها في « مصر » اتخذت من الصور ما يثير العجب ويحير الفكر ؛ فلقد شاهدت بنفسى صورتين متناقضتين كل التناقض — أما الصورة الأولى فهي التي عاش في إطارها جيلنا والأجيال التي سبقتة ولا حاجة بي أن أصفها بالقول !... يكفي أن أورد واقعة واحدة ، فيها كل الدلالة والمغزى :

سمعت المرحوم والدى ؛ يتحدث عن أبيه باحترام عميق في كل مقام ، وكان أبوه ممن تعلموا في الأزهر ، ثم أقاموا بعدئذ في الريف ، يزرعون ما يملكون من أطيان !... وكان والدى قد أوغل في الحلقة الرابعة ورقى إلى منصب القضاء .. وطفق أبوه في ذلك الحين يتصرف في أطيانه بالرهن والبيع ، ثم يعود إلى الشراء

والاقتناء ، ثم يقترض ويتعهد ويتعاقد !.. فقال بعض أصدقائه :
— هذه تصرفات قانونية ، وابنك قاض من خيرة القضاة ، ألم
تستشره ؟...!

فما كان من الأب إلا أن صاح :

— ابني !؟... أستشير العيال !؟...!

ولم يكن والدى يجد غضاضة في ذلك القول .. وكان يتلقاه
بابتسامة التسامح ، وشعور التوقير ، ولو أنه في دخيلة نفسه ما أراه
اعتقد أن أباه كان على صواب !... إلى ما سمعت قط منه نقدًا
لأبيه ، فقد كان ينحنى على يده يقبلها أينما التقى به !.. وكان
يلتمس له المعاذير ، ويرر كثرة زواجه بأنه كلما تزوج واحدة
وجدها أجهل من سابقتها .. غير أنى ، على قدر ما تسعفتنى
ذاكرتى ، قد خيل إلى وقتئذ أن والدى كانت له نظرة أخرى في
الصلة التى يجب أن تقوم بين الآباء والأبناء ، ولكن حدث بعدئذ
ما جعلنى أضرب كفاً بكف من الدهشة والعجب ؛ فقد
صرت — أنا بدورى — فى الحلقة الرابعة وانخرطت فى سلك
القضاء ، وشاهدت المرحوم والدى يتصرف بالرهن تلو الرهن فى

بيت كنا نعتز به ، ويقابل أمامي كل من هب ودب من السماسرة
والمرابين ، يسر إليهم الحديث ويهمس لهم في الآذان ، ولا يخطر
بباله قط أن يكشف لي عن جلية الأمر وبواعث التصرف ، أو
يسألني ، رأيي المتواضع ، فيما هو مقبل عليه ، وأنا الذي أحقق
كل يوم في تصرفات الناس ، وأفحص وأزن ما لهم وما عليهم من
حجج وبيانات ، وأتحمل في أرواحهم وحریاتهم وأموالهم ، أخطر
التبعات !..

ومع ذلك قامت في نفسي ثورة ، وما ارتفع لي في حضرته
صوت ، وما كنت ألقاه وأنا في ذروة العمر إلا بتقبيل يده
والإصغاء إلى نصائحه ...

* * *

تلك صورة طواها الزمن — فيما أعتقد — ونشر صورة
أخرى لجيل جديد ، يرى الأمور على وضع آخر ؛ فهو يصر على
أن يكون له رأى في محيط البيت والمدرسة والمجتمع ... وقد جاء
هذا الجيل في ظروف عالمية تبرر الانقلابات ، وفي ظروف قومية
تنادى بالحرية ، واجدًا من الجيل السابق الذي يحتضنه مؤازرًا

(ثورة الشباب)

لنزعته ومشجعًا ، لأن هذا الجيل السابق لم يكن إلا جيل الثورة المصرية !... على أن أبناءنا وقد ظفروا بحق إبداء الرأى فى كل شىء ، لم يقفوا عند هذا الحد ، ما من شاب يقبل منك الآن نصحًا ، أو يلقاك اليوم فتأنس منه توقيراً لسنك ، أو احتراماً لجيلك !.. إنه يخاطبك مخاطبة القرين للقرين ، مهما يكن الفارق بينكما فى المكانة والسن ، وما من شاب يقنع اليوم بأن يكون له فى شئون أسرته رأى ، وفى مذاهب السياسة رأى ، وفى برامج دراسته رأى ، وفى أساتذته رأى !... إن مجرد إبداء الرأى أصبح لا يكفيه !...

جموح الشباب ، وبلبله الأفكار ، وزلزلة القيم ، وهزات الأحداث العالمية ، وسرعة التطورات الاجتماعية ؛ — كل هذا جعل الجيل الحديث يشب على عدم احترام القديم الثابت المستقر من النظم والأفكار والقيم والأشخاص !... وبانهيار هذا الجدار انطلق الشباب يهيم فى كل واد ؛ بلا ضابط ولا رابط !.. وتولدت عنده بذلك عقيدة راسخة هى : أنه ليس فى البلاد رأى غير رأيه هو الذى تستقيم به الأمور .. وأن من حقه أن يفرض هذا الرأى

فرضًا على آباءه وأساتذته وقادته ، كلما استطاع إلى ذلك
سبيلا ...!

* * *

في الصورتين إذن انفصال بين الأجيال !.. في الماضي كان
آباؤنا يفرضون علينا إرادتهم ، وفي الحاضر ، نرى أبناءنا يريدون
فرض إرادتهم علينا !... أترانا نحن الجيل الذى بلا إرادة ..
أعطيناها لآبائنا تبجيلا ، ولأبنائنا تشجيعًا ؟!...

تصادم الأجيال

كلما حدث في مجتمع انفصال بين الأجيال ، رأى كل جيل أن هذا المجتمع غريب عليه ، وأنه برىء منه ، لا يدري كيف جاء ، ولا كيف تكوّن ، ولا يعرف من المسئول عنه ...

جاءتني رسالتان تصوران هذه النظرة إلى المجتمع ؟...

الأولى ؛ تمثل رأى الجيل السابق ، هذا نصها :

إن جيلنا كان له من الملامح « كازينو دى بارى » ، وفتيات « أوركسترا كافيه إجبسيان » للطبقة المتفرجة . وقهوتان للرقص والغناء فى « وجه البركة » .. أما اليوم فقد أصبح من مستلزمات الطبقة المتوسطة وجود « البار » الأمريكانى فى المساكن الخاصة .. وأصبح من حق جارى أن يثير أعصابى بميكرفون ... وأصبح المخنثون يمشون متشابكين خمسة خمسة على الأفاريز !... وأصبحت الأوضاع مقلوبة !... القانون يهاب الإجرام ، والأب

يخشنى ثورة الابن، الذى رضع من ثدى الحرية الفاجرة!... أما فى غير مصر فإن القانون الرقيب على المجتمع، قد أجبر يومًا ممثلة مصرية كبيرة، كانت تضع ساقًا على ساق فى ترام «جنوا» أن تنزل ساقها، فثارت واعتبرت هذا الإجبار اعتداء على الحرية، ولكنها اضطرت آخر الأمر أن تلتزم حدود المجتمع الذى تعيش فيه، فأنزلت ساقها على مضض...

أما الجيل الجديد فتمثله رسالة هذا نصها:

إننى — كأحد أبناء الجيل الجديد — أقول: إنه جيل يريد أن يصل إلى إدراك معنى الحياة، وإلى بلوغ أقصى ما يمكن من المعرفة والتقدم والرقى!... على الرغم مما يرى فى تصرفاته من تهور واندفاع، لا يقفهما عقل، ولا يحد منهما إدراك، حتى صار الناس يوجسون خيفة من أعماله، ويرون فيه خطرًا عليه وعلى المجتمع!.... وما من شك أن للجيل الجديد أخطاء، ولكن على من تقع التبعة؟... أليس المسئول هو الجيل الذى سبقنا؟... إنه لم يعرف كيف يقود الجيل إلى الشاطئ الأمين.. لقد أخافه وأرهبه هذا التطور المفاجئ فى التفكير الإنسانى!... فترك له الجبل على الغارب؟... أهو قد حارب بين أن يقدم معه، أو يحجم

عن مجاراته !... ومن هنا ظهر تردده وضعفه وتخاذله ؟... أو أنه
تجاهل ؛ أو تغافل عما تطورت إليه الحياة العامة ؛ فأراد أن يعود به
القهقري — وكانت النتيجة في كل الأحوال أن عصي ؛ لأن الحياة
التي نعيشها في هذا العالم الحاضر لا تسمح لحي أن يمشي إلى
وراء ، وإلا داسته العجلات السائرة في موكب الحضارة !...
إنما الخلاف هو في اختلاف طبيعة الجيلين : أحدهما يريد التمثل
والآخر يريد القفز !... وليس هذا بجديد !.. هكذا كان الآباء
والأبناء في كل زمان ومكان ، ولكن الجديد في عصرنا الحاضر —
عصر الثورات والانقلابات — هو أن الخلاف في الطبيعة والنظرة
قد انقلب هو الآخر إلى ثورة ؛ ثورة اتخذت لها شتى المظاهر : في
البيت ، والمدرسة والعمل والمجتمع !... ولم يعد من السهل أن
نفرق في دحانها بين حدود النظام والحرية ؛ والحق والواجب !...
وبهذا اختلطت الأقدار ، وضاعت معالم القيم ، وفسدت العلاقة
بين الأجيال ، وانفصلت حلقاتها !... وانعدم التعاون بينها ،
وانتهى الأمر إلى ما نرى ، من وقوف كل جيل موقف المرتاب من
الجيل الآخر !...

كل الأزمة إذن هي في هذا الانفصال بين الأجيال !...
خرج البنون على آباءهم ، وخرج التابعون على قادتهم !...
في النظرتين إذن إنكار لحالة المجتمع ، واعتراف بأنه قائم على
فساد ؟... وليس المهم إلقاء التبعات ، وقذف الاتهامات ؛ إنما
المهم هو البحث في العلة وعلاج الداء !... وما من شك في أن
الأفكار تتطور اليوم بسرعة ظاهرة ، والحياة تتجدد ، والمجتمع
يتابع كل ذلك على الرغم منه ؛ كورقة فوق تيار جار !... وما
أظن كثيرين من الجيل السابق يخطر لهم أن يققوا عجلة الزمان ، أو
يرجعوا عقارب الساعات إلى الوراء ؛ فهم متهمون أحياناً بأنهم قد
جرفوا في التيار جرفاً ، دون أن ينظموا له الجسور والسدود .
فالتجديد الشامل في نواحي المجتمع ، لم يتم شيء منه في واقع الأمر
إلا : بإيجاء ، أو رضى أو تساهل من الجيل السابق !... ولكن
الجيل الجديد يعيش في عصر التغيرات الخاطفة ، والتطورات
السريعة ، والاختراعات المفاجئة ، فأصبح لذلك أقل من الجيل
الذى سبقه صبراً وجلداً ، وأقوى منه رغبة في كل تغيير وأعنف
منه ثورة على كل ثابت مستقر !...

ليس الخلاف بين الجيلين في الحقيقة على مبدأ التطور والتجديد
فالكل مسلم بضرورة الانحناء لدواعي التجديد والتطور . ولكن
الخلاف الحقيقي في ذلك التصادم — في ضياع الاحترام
والثقة — في السير ، لا بروح التعاون ، بل بروح التحدى !...

* * *

تجاهل الأجيال

إن انقطاع الصلة بين الأجيال يحدث أيضاً من ذلك الجهل بطبيعة كل جيل ، أو التجاهل لما تتطلبه تلك الطبيعة !... وها هي ذى رسالة ، تصور هذا الجهل ، أو التجاهل بين جيلين :

« ... يمنعني والدى من قراءة المجلات والجرائد ، على اختلاف أنواعها ، ولا يقبل مناقشة فى فائدة القراءة والاطلاع ، وكلما أبصر فى يدي مجلة مزقها !... وهو ينهانى عن مصادقة أى شاب ، حتى إن كان مثقفاً ، وهو يرتاب فى حركاتى وسكناتى ، ويخاف علىّ !... وهو يريد أن أعيش كعابد فى صومعة ؛ ولا يرانى الناس ولا أراهم !... إني مشغوف بالقراءة ، فماذا أصنع لأرضى هوايتى وأرضى فى عين الوقت والدى الذى أكن له كل الاحترام ؟... » .

هذا والد يريد أن يرى ولده؛ كما يرى ذلك النوع من الزهر فى

بيوت الزجاج ...! وأنا لست من علماء التربية للبشر ، أو للزهر
حتى أبت في هذا الأمر ... ولكنى أعتقد أن كل كائن إنسانى أو
نباتى لا يتعرض للشمس والهواء والرياح والغبار— ينشأ رقيق
التكوين ، ضعيف البنيان ، يحتاج إلى دثار من العناية ليحيا ، وإلى
جدران من الحيطه ليعيش ، ويكفى أن تحدث المصادفة في تلك
الدروع ثغرة ذات يوم ، لينهار ذلك الكيان عند اللعنة
الأولى !... كلا أيها الوالد الخائف !... ليس هذا هو السبيل ،
حطم بيت الزجاج وأخرج زهرتك وعرضها برفق للشمس
والهواء !... دع ولدك يقرأ ودعه يصادق ودعه يعيش ربيعه !...
لا تخش لون القراءة التى يشغف به ابنك فى هذه السن المبكرة .
إن الطبيعة أعقل منك أيها الوالد ، إنها هى التى تغرس الميول فى
النفوس ، وتلونها على حسب الأسنان والأعمار ، كما تلون أوراق
الأشجار !...

ففى الشباب يورق الخيال والشعور والعاطفة !... وفى
الكهولة يورق العقل والحكمة والتجارب !... ومن الخطأ أن
يتحدى والد الطبيعة ، وأن يتغلب بغرسه على غرسها ، وأن

يتطلب في ربيع العمر شجراً قائم الجذع ، صلب العود ، تحت عصف الريح !... ولكنها فيما يظهر قصة كل والد : إنه يحكم على ولده بمزاجه ، و يقيس درجة حرارته « بترمومتره » ، وكأنه لا يستطيع له فهما — كما لا يستطيع الشتاء أن يفهم الربيع ، فهو يسخر من زهره الأبيض الطاهر ، فوق الغصون اللينة المخضرة ، ويهزأ من طيره الصادح ومن ليله القمر ، ومن نسيمه المعطر ، ومن كل تلك الرقة التي تملأ بها الدنيا — ذلك الفصل الربيعي الرقيق !... إنها في نظر الشتاء الصارم ضعف ، لأنه فصل العنف تتصارع فيه العناصر ، وتتعارك القوى !... إنه الحياة في كفاحها الأكبر .

أنا أيضاً وقفت هذا الموقف من والدي — رحمه الله — وأنا في الثانية عشرة من عمري !... كنت أرهب أيام الجمع ، لأنها الأيام التي يفرغ فيها لي ، يناقشني فيما أقرأ وكان يتخير لي هو نوع الكتب ، التي يجب في عرفه أن أقرأها !... وكان أخفها وطأة كتاب يحوى « المعلقات السبع » ، ضربت بسببه أوجع الضرب فقد كان والدي لا يكتفى مني بالحفظ عن ظهر قلب ، بل يريد

منى أن أشرح له أبيات ذلك الشعر الجاهلى فى تلك السن !...
وكنى إذا عجزت عجب لجهلى وحمقى ، ثم استشاط غيظًا
منى — مدفوعا ولا ريب بالخشية على مستقبل الضائع — وإذا
يده تتناول وجهى بالصفع الثقيل ، فلا تتركنى حتى يسيل الدم
من أنفى ، وهو يصيح لى :

— يا جاهل ! يا غبى !.. أوجد أسهل من هذا البيت لزهير بن
أبى سلمى !.. هذا السهل الممتنع يا أحق !...
« ومن لم يصانع فى أمور كثيرة

يضرس بأنياب ... ويوطأ بمنسم »

ثم يهز رأسه إعجابًا بالحكمة التى ينطوى عليها هذا الشعر !...
حقًا هذا شعر خليف أن يقدره والدى الذى حنكه الدهر ، وعرف
من تجاربه حقيقة كل كلمة فى هذا البيت ، ولكن الذى يدهشنى
الآن هو : كيف غاب عن والدى وقتئذ أن مثل هذا البيت لا يمكن
أن يتصور حقيقته ذهن غلام فى الثانية عشرة ؟ ...

أترى كان المقصود أن أشرح البيت شرحًا محفوظًا ، كما ألقى
إلقاء محفوظًا ؟ !... وما قيمة ذلك ؟ ... إن هذا لا يرفعنى عن

البغاء إلا مرتبة بسيطة ؟... ولكن المقصود — فيما أعتقد — أن يشرح الإنسان المعاني شرحًا محسوسًا ؛ بكل شعوره ، وكل إدراكه ، وكل إحاطته الشخصية لما يشرح ويفسر !... في مثل هذه الحالة لا يمكن أن يطلب إلى غلام ، أو شاب أن يفسر إلا ما تستطيع تجاريب سنه أن تلم به من مدارك وإحساسات !... من أجل ذلك يجب على الوالد والمدرسة تجنب الغلام أو الشاب ذلك النوع من الكذب على نفسه وعلى غيره ؛ بتلقيه تفسيرات « موضوعة » لأشياء لا تدركها سنه .. لهذا أيضًا يحسن بالوالد والمدرسة تمكين الصبي أو الشاب من قراءة ما يناسب سنه من ألوان القراءات !... ولا تقلق أيها الوالد ، ولا تظن ابنك — وهو اليوم غارق في هذه المطالعات التافهة اليسيرة — سيظل سائرًا منساقًا في تيارها إلى آخر العمر !...

إن تيار الحياة هو الذى يغير لون المطالعات ، وأنت نفسك أيها الوالد الذى تقرأ اليوم كتب الفلسفة أو مقالات السياسة والاقتصاد ، أو تتغنى بالتاريخ أو بالأدب الرفيع أو بعلم النفس أو

بعلم الرياضة — كنت في صباك مشغولاً بقصص « روكامبول »
أو « ألي زيد الهلالي » !... ولكنك لا تذكر ذلك العهد ؛
كأغلب الآباء !.. ويخيل إليك أنك لم تقرأ قصة قط ، لأن حياتك
اليوم تدفعك في مجرى بعيد عن حياة الخيال ، وبدالك عقلك ،
وكانه لم يعد يطيق هضم القصص !....
أيها الوالد !... اترك ولدك لسنه !... وافهم طبيعة جيله !...

* * *

حرمان الأبناء

كم سعدنا في طفولتنا الجميلة بشهر « رمضان » ، وكم شقينا
أيضًا !... من ذا الذى لا يذكر خفقة قلبه الصغير ، في صباه ،
وهو أمام حانوت « السمكرى » ، يقلب أنظاره الشائعة ،
وأبصاره الزائغة ، في مختلف « الفوانيس » بزجاجها ذى
الألوان ؟... ما أبهج ذلك الفانوس الأصفر الأخضر الأحمر المعلق
في القمة !... ولكن ثمنه ولا شك باهظ !... ترى هل يرضى
الأهل ببذل هذه التضحية من أجله ؟... إنه على كل حال لن
يكلفهم شططًا ولكنه سيفعم قلبه بسرور لن يقدر الكبار مداه
أبدًا !... ما أقسى الكبار أحيانًا !... إنهم قد يضمنون ببضعة دراهم
لن تغنيهم ، هي الفرق بين لعبة ولعبة !... ولكنها — فى الواقع —
هي الفرق بين سعادة وسعادة !... ما أشد نسيان الكبار !.. لقد
كانوا كلهم صغارًا فى يوم من الأيام !... لماذا لا يذكرون فى ذلك

العالم السحري العجيب ، الذى تفتتح للأطفال أبوابه الذهبية فجأة كلما أرادوا الحصول على شىء من تلك الأشياء التى يحلمون بها !.. عالم من هناء سماوى ، لن يتاح لأحد غيرهم أن يعيش فيه بهذا الثمن الزهيد بعد أن يجاوز أعمارهم !... لو تذكر الكبار ذلك العالم الذى أغلقت دونهم أبوابه بخروجهم من طور الطفولة لما ضنوا على أولادهم بشىء !... فهم الآن وفى أيديهم القدرة ، وفى جيوبهم المال ، لن يستطيعوا فتح كوة فى ذلك العالم مهما يشتروها بثروة الدهر وذخر العمر ... ما أعجب تلك المعجزة التى يسمونها الطفولة !..... فيها تستطيع أن تدخل الفردوس الذى لن تدخله بعد ذلك أبداً بقروش معدودات !... سل كل صاحب ملايين فى أمة من الأمم : هل فى مقدورك أن تشتري اليوم بملايينك لحظة سعادة ؛ كتلك التى كنت تشتريها فى صباك بدرهم أو درهين ؟

أرايتم يا ملوك المال ؟... تلك ملايينكم قد تضاءلت أمام ثروة طفل !... وذلك ذهبكم قد تحول إلى تراب أمام كنوز الطفولة !...

هنالك مع ذلك مشكلة تحتاج إلى تفكير وتدبر :
إذا كانت لك القدرة على إشباع رغبات طفلك وتحقيق أحلامه
فهل تفعل أو تتمهل ؟ ... هل من مصلحة الطفل أن تروى كل
رغبته ، أو أن تبقى فيه بعض ظمأ لم ينطفئ ؟ ...
أقول ذلك لأنني لم أظفر في طفولتي بكل ما كنت أتوق إليه من
لعب ، وأصبر إليه من أشياء ... فكنت أخلقها لنفسي بخيال
مشبوب ، وكان من أقراني وجيراني من يملك لعباً نفيسة عجيبة
تملاً حجرته ، وتملؤني دهشة ، أقف بينها مشدوها ، وأحلق فيها
معجباً ، وألمسها مكبراً ! ... وصاحبها الصغير يعبث فيها بيده
الصغيرة محطماً ومحقرًا ! ... كنت ولا ريب أدرك قيمتها أكثر
منه ؛ وأرى فيها أشياء باهرة ، لا تراها عيناه ؛ وكأن كل لولب
فيها ، أو لغز أو مفتاح ؛ — يحرك كل مخيلتي ، ويهز كل
واعيتي .. كل ذلك ؛ لأنني لا أملكها ، ولا أستطيع أن أحصل
عليها ! ...

ترى ، يا علماء التربية ، ما الواجب أن يتبع في تنشئة
الطفل ؟ ... تلبية ندائه أو صم الأذن أحياناً عن مطالبه ؟ ... منحه
(ثورة الشباب)

لذة الامتلاك ، أو تعريفه بمرارة الحرمان ؟..

إذا جاء « رمضان » ، وتطلع إلى الفانوس المزركش المبرقش
في قمة الدكان ، فهل تترك خياله معلقاً به ، وأحلامه تهتز معه ،
وتبتاع له الفانوس الآخر ، أو تأتى له بالأول ، — تضيء زجاجه
وشمعه ، وتطفئ خيال الطفل ولوعته ؟!...

صنع الأجيال

يؤكد عالم « بيولوجى » أمريكى أنه — فى خلال خمسة أعوام — سيصبح فى مقدور كل زوجين أن يختارا نوع المولود الذى يريدانه .. فمن شاء مولودًا ذكرًا جاء له ذكر ، ومن شاء الأنثى جاءت له الأنثى !..

إن العلم يريد أن يضع فى يد الإنسان مفتاحًا رهيبًا ، من مفاتيح الطبيعة الحكيمة !... العلم !.. هذا النهم الذى يسكن رأس الإنسان ، ويدفعه إلى نيل ما لا ينبغي له أن ينال !.. لكأنى بالطبيعة — هذه الأم الرحيمة ، وقد لحت يد طفلها الإنسان ، تمتد خلصة إلى وسائدها : لتجذب من تحتها المفتاح ، تهب قائلة لنفسها مرتابة قلقة :

— أيها الأحمق !... تريد أن تصرف كل أمورك بيدك ؟...
أخشى ألا تكون على ذلك قديرًا ، ولا به جديرًا !... إني أدبر لك

شأنك ، متحللة من كل نزواتك ، مرتفعة عن كل صفاتك ...
أرى مصيرك لا في نطاقه الفردى المحدود ، بل في علاقته بمصاير
غيرك من الأحياء !... إنك ستندم على هذا النزق يوماً !...

وكأني بالإنسان يقول للطبيعة بلسان العلم :

— لم أعد طفلاً ، ما دمت قد عثرت على مفتاحك ؛ فإني أهل
لأخذه واستخدامه !...

فتهمس الطبيعة :

— كل الأطفال يقولون ذلك !... ويمضون بالمفاتيح إلى
الخزائن الممنوعة ، بحثاً عن الحلوى أو المتعة فيبعثون ما فيها ،
ويلقون الاضطراب في نظامها !... افعل ما شئت ، وسرى ما
يكون منك !..

* * *

ولن يكون غير أمر واحد : ما أن يعلم الناس أن في الإمكان
اختيار نوع الولد ، دون أن يتكلفوا أكثر من جرعة دواء ، بقليل
من المال ، حتى يندفعوا كلهم أفواجا إلى الصيدليات ، يطلبون
الدواء الذى ينبج لهم المولود الذكر !... فما يمضى جيل حتى

نرى الدنيا قد زخرت بالذكور !...

وتظهر عند ذاك مشكلة عالمية : هي البحث عن الأنثى !..
وقد تقع المعارك والحروب بين الرجال من أجل المرأة ؛ كما
وقعت حروب « طروادة » من أجل « هيلينا » ..

عندئذ تنقلب الكفة فجأة ، ويندفع الناس من جديد إلى مخازن
الأدوية ، يطلبون الدواء الآخر الذى ينبجب الإناث !... فلا
يمضى جيل ، حتى نرى الدنيا قد زخرت بالنساء !....

وتظهر مشكلة البحث عن الرجل ؛ — فيعود الاندفاع إلى
المخازن والصيدليات طلبا له .. وهكذا دواليك — حتى يحدث
نوع من التوازن بعد أجيال !...

ذلك أن هذا الطفل الإنسانى الكبير غير قدير على أن يقر
التوازن فى شئونه إلا بثمن باهظ من الجهد ، وبعد زمن طويل
ينقضى فى الاضطراب بين النقائص ، والترنح بين الأضداد !...

* * *

هذا فرض قائم على حسن الظن بالإنسان ، وعلى أنه يستطيع
بنفسه — آخر الأمر — أن يسيطر على نزعاته ونزواته ... وأنه فى

إمكانه أن يحل محل « الطبيعة » في تنظيم ملكاته .. ولكن هنالك فرضاً آخر يقوم على عجزه وإخفاقه !... هنا لا نرى مناصاً من تدخل « الطبيعة » !... هذه الأم اليقظة الصابرة ، لا يمكن أن يبلغ بها التغاضي والتسامح حداً الإهمال !... فهي ما تكاد تلمح العبث من طفلها ، قد انتهى إلى الحد الذي يفسد النواميس ، حتى تنهض مسرعة إليه ، تمسك بزمام الأمر بيديها ، لتقر النظام في نصايه بطرائقها ، وتعيد التوازن إلى حاله بأساليبها !...

فإذا كان عدد الذكور قد طغى طغياناً لا سبيل إلى كسر شرته . أيقظت « الطبيعة » الفتن ، وأقامت الحروب ، فحصدت بنيرانها ما لا بد أن يحصد من هذا المحصول الفائض !... وإذا كان تعداد الإناث هو الغالب ، أشاعت الإباحية ، والأوبئة ، والثورات الاجتماعية ، فأخمدت بموجتها ما لا بد أن يخمد من هذا الفوران الزائد !... وعند ذلك يتم لها النصر ، وتقنع من الإنسان بهذا الدرس فلا تريد منه إلا أن يشعر بغروره ، ويعترف بنزقه ، ويسمع همساً وهي تحنو عليه باسمه ، غافرة ، مشفقة :

— أشبعت لعباً؟! ... ألا يحسن بك الآن يا بني أن تدعنى أتولى

أمرك؟! ...

أجيال الطبيعة

يقول المفكر الصينى « يو تانج » : إن من الناس من يرفض أن ينتج ذرية !... فهل تستطيع الأشجار أو الأزهار أن ترفض إنتاج البذور التى تكفل استمرار البقاء لنوعها ؟... إن مشكلة العصر الحاضر هى أن كثيرًا من الناس لا يتزوجون ، وأن كثيرًا ممن تزوجوا يرفضون إنتاج الذرية لأسباب شتى : كارتفاع مستوى المعيشة ، وازدياد تكاليف الحياة ، ومشقة الكدح فى سبيل الرزق !... لكن ما من سبب من الأسباب ، ينبغى — فى نظره — أن يحول دون قيام البشرية بواجبها الطبيعى الذى تقوم به الشجرة والزهرة !...

هذا قول حق !... لكن هناك فرقًا فى رأى بين الشجرة أو الزهرة ، وبين الإنسان !... إن الشجرة لا تفكر فى معارضة القوانين الطبيعية ... إنها لا تنسى أبدًا أنها جزء من الطبيعة ذاتها

وأنها عندما تنتج البذور تترك للحياة مهمة فرز الصالح من الطالح ولا تتعجل النتائج ، وتدع للزمن حرية العمل ، ينضج من الأنواع ما ينضج ، ويميت منها ما يميت ، ويضحى بمئات الآلاف ، أو آلاف الملايين ، ليخرج فصيلة ممتازة رائعة كاملة بعد حين !...

أما الإنسان فأمره مختلف .. إنه حيوان يفكر أو نبات يعقل ... وعمل العقل والتفكير هو استخراج مبادئ واستنباط قوانين ... وهذه القوانين والمبادئ كثيراً ما تعارض قوانين الطبيعة ... ذلك أن الإنسان العاقل يضع مبادئه في نطاق زمنه المحدود ... ولكن الطبيعة تضع مبادئها في نطاق زمنها غير المحدود ... من هنا ينبع سوء التفاهم بين الطبيعة والإنسان في أغلب الأحيان ؛ فأكثر الذين لا يتزوجون قد اتخذوا هذا القرار ، بناء على مبدأ من مبادئ العقل الذى يزين لهم الحرية الفردية ، ويجعلها في صورة مغرية من صور السعادة الإنسانية !... هذا الرجل الفرد المخلق كالعصفور — بغير عش في كل الأجواء — لا يخشى الغد ، ويتحدى الأنواء !... ما أسعده في وحدته وراحته باله وعدم مسئوليته ويظل هذا الرجل في الحياة يصفق بجناحيه لا

يظل بهما أحداً.. إلى أن يموت بردًا بغير عش، أو يمضي راضيًا بغير ندم!... وهكذا ينتصر العقل على الطبيعة!...

ولما أن يشعر العصفور أن التحليق في الهواء لا يمنحه الحرية؛ بل يمنحه التيهان، وأن سعادته ليست في نشر الجناح على الهواء بل على بيت وقرين!... عندئذ تنتصر الطبيعة على العقل، ويتزوج الرجل، غير أن العقل لا يتركه وشأنه؛ بل يعود إليه ليضع له المبادئ، ويسن له القوانين، ويقول له: إيرادك صغير، فلا تنجب أو أنجب أطفالاً!... أو إيرادك متوسط؛ فأنجب طفلين!... ويصغى الرجل إلى قوانين عقله؛ ولا يصغى إلى قوانين الطبيعة!... قانون عقله يريد وصل الإيراد بالذرية، وقانون الطبيعة لا يرى صلة بين الإيراد وبين الذرية... العقل الإنسانى المحدود يريد أن يحبس نتائج النسل الآدمى فى نطاق الزمن الآدمى القصير، وفى حدود التكاليف المالية والمعاشية!...

وعقل الطبيعة — غير المحدود — لا ينتظر نتائج هذا النسل إلا بعد أجيال تتعاقب فيها الدول وتتغير النظم!...

وهنا السر فى أن الإنسان الفطرى ينتج من الذرية كثيرًا!...

والإنسان المتعلم ينتج منها قليلا!.. ذلك أن الإنسان الفطرى أكثر مقاومة لعقله واندماجا في الطبيعة وخضوعا لقوانينها، ولكن الإنسان المتعلم أكثر مقاومة للطبيعة وخضوعا لعقله!...

الإنسان الفطرى هو وحده الذى ينطبق عليه قول المفكر الصينى!... وهو وحده الذى مثله مثل الشجرة والزهرة، ينتج وينسل بلا تفكير، وعلى الطبيعة أن تفرز إنتاجه الصالح من الطالح، وتبقى القوى وتميت الضعيف، وهو يتقبل حكمها باستسلام وإذعان!...

أما الإنسان المتعلم فلا يقبل حكم الطبيعة في ذريته!... إنه هو الذى يريد أن يقرر بنفسه مصايرها، ويوجهها في الحياة تبعا لبرنامج يضعه بعمله، ويرسمه بعقله!...

إنها الحرب إذن بين الإنسان المتعلم المفكر، وبين الطبيعة!... وما دامت الحضارة تقلب كل إنسان إلى متعلم مفكر، فلا بد أن تتسع هوة الخلاف بين الطبيعة والإنسان إلى حد نرى فيه النسل يوما يكثر أو يقل تبعا لبرنامج رسمى تضعه الدولة وتطبقه على الأفراد!... المخلص من كل ذلك الحكمة... فإذا أعطى الإنسان الحكمة، فإنه يمسك بالميزان الذى يكفل له التوفيق بين إرادته وإرادة الطبيعة...

تنوع الأجيال

في سورة « هود » من القرآن الكريم آية ، قلّ من فطن إلى
مراميها البعيدة . تلك هي :

﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون
مختلفين ﴾

مهما يكن من أمر التفسيرات التي شرحت بها هذه الآية ، فإنه
يبدو لي أن في جوفها وميضاً ينم أحياناً عن أسلوب الله في خلق
الكون.. فذلك الاختلاف بين الأجرام في الأحجام هو سر تجاذبها
وتماسكها وتعاونها، ولو أن الله جعل الأجرام حجماً واحداً،
وشبها واحداً في كل العناصر والأوزان والصفات لانقرط عقدها،
وانحل رباطها... أما في مجال أرضنا وسكانها من الآدميين — فإن
قانون الاختلاف له مثل هذه الضرورة واللزوم!.. ولقد قرأت
أخيراً للمفكر الإنجليزى «جون هادهام» فخيّل إليّ أنه يكتب

بوحى من تلك الآية القرآنية هذه السطور : « لو أن كل بلد كان له من الهيئة ومن المواد الخام ما لسائر البلاد ؛ — لكان كل بلد يستطيع الحياة مستقلاً تمام الاستقلال عن جيرانه ، ولكن الله نظم خريطة الدنيا على نحو يجعل كل بلد فى حاجة كبيرة أو صغيرة إلى كل بلد ...! وهذا القول يصدق أيضاً على الشعوب ، فكل شعب قد جعلت فيه مزية يستطيع بها أن يضيف شيئاً إلى مجموع الشعوب ، وكل شعب مدين للشعوب الأخرى بشيء يعوزه فى إنتاجه أو ينقصه فى تركيبه ...! »

وما يقال فى شعب يقال فى الأفراد الذين يتكون منهم ؛ فما من مجتمع صحيح البنيان إلا إذا كانت صحة بنيته ناتجة من أفراد لا يتشابهون فى نوع العمل واتجاه التفكير ... لأن تلك الصحة إنما قوامها تلك المساهمة التى يؤديها إلى المجموع كل فرد بعمله الخاص ، وتجاربه الشخصية ، ومزاجه المختلف عن سواه ، وطبيعته ونظريته ...! وهل نستطيع أن نتصور قيام مجتمع ، يتكون من أفراد كلهم متشائمون فى النظرة أو كلهم متفائلون وكلهم ذو حرص أو كلهم مهملون ؟.. وكلهم شعراء ؛ أو

كلهم مهندسون ؛ أو كلهم خطباء ؟! ...

* * *

وإذا أردنا أن نكمل الصورة ، فلنهبط إلى الأعضاء في جسم الفرد !... فالصحة في جسم الفرد قوامها أيضاً ذلك الاختلاف في وظائف الأعضاء !... فالرأس يفكر ، والقلب يشعر ، واللسان ينطق والأذن تسمع ، والقدم تسير !... وإن هذه الصحة لتتأثر يوم نرى كل هذه الأعضاء تترك وظائفها المختلفة ، وتتجه كلها إلى وظيفة واحدة متشابهة للجميع ، وهى التفكير !... نعم ، ماذا يكون حال الجسم لو تمرد القلب ، واللسان ، والأذن ، والقدم وقالت كلها : لن نشعر ، ولن ننطق ، ولن نسمع ، ولن نسير !... نريد كلنا أن نكون مثل الرأس ، فلا نصنع شيئاً سوى أن نفكر ..! معنى ذلك ولا ريب هو شلل الجسم كله وسقوطه في مكانه ، لا يتحرك ، ولا ينطق ولا يشعر ولن يغنيه تفكيره شيئاً !...

أسلوب الله في خلقه ؛ يبدو إذن من ذلك الاختلاف : في الصفات ، والهيئات ، والسماوات !... هنا سر التناسق في الخليقة

أى سر تضامنها : فأعضاء الجسم متضامنة فى العمل ؛ لأنها مختلفة
فى الوظيفة ؛ ولو أنها تشابهت فى الوظيفة لما تضامنت فيما بينها ؛
ولاستقل فى الحال كل عضو عن كل عضو ؛ وبهذا الاستقلال
يتفكك الجسم ويتفتت الفرد ..!

* * *

فإذا انتقلنا إلى مجال الرأى ، وجدنا أن اختلاف الآراء فى
المجتمع البشرى ضرورة من ضرورات الطبيعة ؛ أى مظهر لإرادة
الله ..! وهنالك فرق بين الاختلاف فى الرأى ، والاختلاف فى
العقلية ؛ فقد تشابه العقلية فى شخصين ، ويختلف الرأى
بينهما ...!

والمجتمع السليم يجب أن يقوم على قدر من الوحدة والانسجام
فى عقلية الأمة ، وأجياها ومقومات شخصيتها العامة ؛ — دون أن
يؤثر ذلك فى اختلاف الآراء فيها ...! فلا ينبغى أن يشط بنا
غرورنا الإنسانى ، فنعتقد أن ما يجول فى رأسنا من رأى ، يجب أن
يسود الناس أجمعين ...! ما من رأى واحد يمكن أن يسود هذه
الأرض ...!

إن العالم اليوم منقسم إلى معسكرين ورأيين ، كل منهما يريد أن يمحوا الآخر من الوجود محوًا : الرأسمالية في جانب ، والشيوعية في جانب — وكل منهما يعد من الذرة قبلة ، يزيل بها خصمه من خريطة الدنيا !... وقد تقع الحرب الفاصلة بينهما ، في يوم قريب أو بعيد !...

ولكن الذى لن يقع ، هو وحدة الرأى فى هذا العالم ، حتى وإن ظفر أحد الجانبين بالانتصار الساحق الماحق !... ذلك أنه — فى تلك اللحظة عينها — لا يلبث أن ينقسم هذا الرأى الواحد المنتصر إلى آراء تختلف وتشتجر !.. وهكذا دواليك !... لأن هذا ناموس الخالق الأزلى :

﴿ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ، ولا يزالون مختلفين ﴾ !...

مبدأ الأجيال القادمة

الدينامركية زاهية الألوان ، مذهبة الحواشي — مطهمة
الخيول — سائقها الشيطان !...

. هذا السائق اللبق يعرف دائماً كيف يخاطب الركب !... إنه
لا يجهل حب الناس للخير ، أو التظاهر بحب الخير ... فهو
يتحاشى أن يخاطبهم بلسانه الحقيقي !... لقد ابتدع لهم لغة بارعة
براقة ، يقطر منها النبل والسمو !...

فهو ينحني بجوار باب مركبته ، حتى تكاد جبهته تمس الأرض
تواضعاً ، ثم يفتح الباب ، ويقول للناس :

— هلموا اصعدوا ، أوصلكم إلى أنبل الغايات !...

فيصعدون : بعضهم عن إيمان ، وبعضهم عن غرض ،
وبعضهم عن تورط !...

أما صاحب الإيمان فيقول في نفسه :

— الدنيا بخير !... وأحمد الله أن أتاح لنا هذا السائق الطيب ،
يذهب بنا إلى ما نؤمن به من غاية شريفة !...
وأما صاحب الغرض فيقول :

— ليس يعنيني الجهة التي يذهب بي إليها هذا السائق ، ولكن
الذي يهمنى هو أن أصعد إلى جوار هؤلاء الناس المؤمنين
الشرفاء !...
أما المتورط فيقول :

— لم يكن في نيتي الركوب ، ولكن ما دام الناس من حولى
يصعدون كلهم مع هذا السائق ، فما الذى يقينى أنا من دون
الناس ؟!...

ويغلق السائق على الجميع باب المركبة وهو يتسم ويقفز إلى
مكان القيادة ، ويمسك بالأعنة ، ويلهب بالسوط ظهور
الجياذ !... فإذا المركبة تنطلق ؛ كالجنونة تسابق الرياح !...

* * *

ولا يمضى قليل ، حتى يشعر الركب برجات عنيفة ، تكاد
تحطم المركبة ، وتصيبهم بالدوار ، وتلقى بعضهم على بعض !...
(ثورة الشباب)

عند ذاك ينظرون من النافذة ، فإذا هم يتبينون أن السائق قد ترك
الطرق السوية ، وانحرف عن السبل المستقيمة ، ونزل بالركبة
يخب في السكك الوعرة ، ويخوض في المسالك الموحلة !...
فيصيح به أصحاب الإيمان مرتاعين :

— ويلك !... ما هذا الطريق الذى تخوض بنا فيه ؟!...

فيلتفت إليهم السائق ، قائلاً بجث مستتر :

— هو أقصر الطرق !...

فيقول المؤمنون :

— ولكنه ليس نظيفاً !...

فيجيب السائق :

— المهم الغاية التى تقصدون إليها !!... ما دامت الغاية نبيلة فلا

تنظروا إلى الطريق !...

ويعود إلى سوطه يلهب به خيوله ، فتندفع المركبة فى

وجهتها ، تاركة الركب المؤمن فى داخلها ، ينظر بعضهم إلى

بعض متسائلين :

— أحقاً يجدر بنا أن نسير فى هذا الوحل والطين من

أجل الوصول إلى غايتنا الشريفة ؟!...

ويشترك في الحديث غير المؤمنين ، من هواة التظاهر والمتورطين ، فيقولون :

— ما دام هذا هو أقصر الطريق للوصول ؛ فما الضرر ؟...
فيصمت أصحاب الإيمان ، وقد أسلموا أمرهم إلى الله ، وهم
ما أسلموه في حقيقة حالهم إلا إلى الشيطان !...

* * *

تلك هي مركبة الدنيا من قديم منذ سلم فيها الجميع بمبدأ
« الغاية تبرر الطريقة ! » .

أخطر مبدأ عرفته أجيال البشرية المتعاقبة !.. هذا المبدأ وحده
هو المسئول عن كل هذه الكوارث التي حاقت بالعالم حتى عامنا
هذا جيلا بعد جيل !...

كل ساسة العالم وقادة الشعوب ، في الأمس واليوم ، وفي الغد
أيضًا ، ولا ريب ، يسرون على هذا المبدأ . مخدوعين بالوهم أنه
أقصر طريق ؛ للوصول إلى غاياتهم ، التي قد تكون في بعض
الأحيان نبيلة ، ولكن الذي يحدث دائمًا هو ما يحدث لركب

المركبة التي يقودها الشيطان !... إنهم لا يظفرون إلا بالطريق الموحل ، أما الغاية فلا تظهر لهم أبدًا في الآفاق !... ذلك أن الطريق الملتوى القدر ، لا يوصل أبدًا إلى الخير ولا إلى الشرف ! إن الغاية النبيلة ليست من الضعة حتى تقبل أن يوصل إليها بطريق غير نبيل !... إن الطريق إلى الشرف هو الشرف نفسه ، ولا شيء غير ذلك !...

والخير هو في ذاته الطريقة والغاية ؛ لأنه شعاع من أشعة الله ، والله تعالى غاية ؛ لا بد أن يكون طريقها نورًا وخيرًا !...

فلو اتفق قادة العالم المجتمعون حول موائد السلام ، وقادة الشعوب والمجتمع والفكر الباحثون في مستقبل الإنسانية ؛ — على أن يحطموا أولاً مبدأ « الغاية تبرر الوسيلة » لجاءت النتائج باهرة !... فإن مناورات السياسة ستختفى ، وأساليب الكذب والمداراة والنفاق والخداع ستزول ، ولن يبقى أمام الجميع غير طريق واضح نظيف !... إذا أوصلنا إلى الخير العام ؛ فهو الهدف ، وإن لم يوصلنا إلى إصلاح سريع ؛ فحسب العالم أنه سار في طريق خال من الشر والقدر !... وإذا لم يكن هذا الطريق

النظيف هو في ذاته إصلاحًا وخيرًا ، فلن يعرف العالم الإصلاح
والخير عن طريق التدمير والشر !... .

هل لنا أن نأمل في الأجيال الجديدة ظهور مبدأ جديد ، يتخذه
العالم كله دينًا وعقيدة ويكون شعاره :
« الغاية النبيلة في الطريق النبيل !... »

* * *

شبح جيل

ذهبت إلى شارع « بلبور » ذلك الحى النائى من أحياء « باريس » — حيث كنت أقيم بعد الحرب العالمية الأولى — فماذا وجدت ؟... وجدت الشارع الضيق كما كان ، ووجدت حجرتي كما كانت ، مفتوحة النافذة على الفضاء الواسع ، وأعترف أنى تأثرت ، وشعرت برجفة ؛ فقد خيل إلى أنى أرى شخصاً فى النافذة ، شخصاً أعرفه ، شاباً نحيل الجسم أسود الشعر ، يرسل البصر إلى الأفق البعيد ؛ كأنما يريد أن يهتك حجب الغيب ؛ ليطالب ما خط فى لوح قدره !... ولكن القدر — فيما يبدو — ما كان قد خط حرفاً واحداً فى اللوح !... إنما وقف ممسكاً به ينتظر — ينتظر الرسم الذى خطه الشاب لحياته !... نعم ، لقد كان ذلك الشاب قد وضع لحياته شبه « خريطة » واضحة المعالم ، دقيقة التفاصيل !... كان قد طرح

في مصر مهنة المحاماة والقانون ؛ ليمضي في حمل القلم ، ويقول
للناس أشياء ، يعتقد أنها قد تنفعهم !... وما كان يريد غير ذلك ،
ولا يطمع من حياته في غير ذلك — فلا الجاه العريض كان يغريه ،
ولا مفاتن الحياة كانت تستهويه ، ولا الثراء كان يجذبه أو يقنعه أو
يرضيه !...

وعندما يضع « إنسان » حياته الخاصة خطة ، فإن « القدر »
أحياناً يأخذ وينفذ !...

لذلك تقدم « القدر » فيما يظهر ، إلى الشاب وتسلم منه
الرسم ، ونقله إلى لوحه وهو يهمس باسمًا : ما دمت أنت
« المهندس » الدقيق لبناء حياتك ؛ فلن أكون أنا غير « المقاول »
المنفذ الأمين !...

ولقد بر « المقاول » فعلاً بالوعد ... وأتم العمل ... وأقام البناء
طبقاً للرسم ... لا أكثر ولا أقل ...

* * *

وددت لو أستطيع أن أسأل ذلك الشاب الذبي تخيلته في

النافذة :

— أيعجبك هذا البناء ؟! ...

لم ألتق بالطبع جواب ذلك الشاب ! ... ولست أدري بماذا
كان يجيب في مثل سنه ؟ ... ولكنى سمعت الجواب من أعماق
نفسى أنا :

— لا ... لا يعجبنى ...

وهنا ... خيل إلى أنى أسمع « القدر » يقول بنبرة تهكم :
— الذنب ليس ذنبى ... لقد نفذت ما تسلمت ... إن كان
هناك عيب فهو عيب الرسم ! ...
فقلت له فى الحال :

— اطمئن ... ما من أحد يتهمك أنت ... ما من شك أن
المسئول هو ذلك المهندس « الغشيم » ..
فقال مزهواً :

— عندما يترك لى ، أنا القدر ، مهمة الرسم ، فإنى أفعل
المعجزات ؟ ...
فقلت له :

— بالتأكيد ... ولكن ماذا تقول فى أولئك الأغرار الذين

يتصدون للهندسة ووضع الخرائط ، فيحبسون حياتهم داخل
رسم خيالى ... لا يستطيعون منه خروجًا أبد الدهر ١٩.
فقال :

— مهما يكن خيال الإنسان فهو لن يطاول خيالى !...
أستطيع أن أدلك على عشرة تعرفهم ، ولا شك أنهم اليوم من
أصحاب الملايين أحدهم كان حوذيًا فى عربة نقل ، والآخر بائعًا
جائلاً من باعة « الخردوات » ، والثالث عاملاً فى حانوت
فواكه ... وهلم جرا ... ما من واحد منهم وضع لحياته خطة أو
تخيل لمصيره رسماً !... تركوا كلهم لى أنا مهمة الرسم ،
وعهدوا إلى بهندسة بناء حياتهم فصنعت لهم ما لم يخطر لأحد منهم
على بال !...

فقلت له :

— ماذا صنعت لهم ؟...

— أقمت بناء حياتهم ، على أعمدة من الذهب !...

أعطيتهم المال ١٩...!

— نعم ... أغرقهم فى المال !...

— نعم !...! أغرقهم !...!

قلتها هامسًا ، وأنا أهز رأسي ، تلك الهزة الطويلة التي تطوى

التهكم المستتر !...!

فقال « القدر » :

— ماذا تقصد ؟...! ألم أعطهم أكثر مما كانوا ينتظرون ؟...!

فقلت على الفور :

— هذا صحيح ؛ لأنهم ما كانوا ينتظرون من الحياة أكثر من

ذلك ...

فقال متخابئًا :

— وماذا في الحياة أكثر من ذلك ؟...!

فقلت باسمًا :

— ألا تعرف أنت ؟...!

فقال :

— أتعرف أنت ضوءًا أشد من وهج الذهب ؟...!

فقلت في الحال :

— القلوب الصغيرة هي التي تضاء بالذهب ، أما القلوب

الكبيرة فلا تستطيع جبال الذهب أن تضيء أرجاءها
وأعماقها! ...

فقال :

— أنا الآن إذن في نظرك مهندس ومقاول من نوع رخيص .

فقلت :

— أنت مهندس ومقاول ، اعتاد أن يرسم ويقيم البيوت
الصغيرة! ... لقد تبين لي الآن أن البيوت الكبيرة لا يرسمها غير
أصحابها! ...

فقال بخبث :

— ولماذا شكوت الساعة إذن من بناء حياتك؟! ...

فقلت مطرقاً :

— لأن الشاب الذى وضع الرسم ، كان حسن الظن واسع
الخيال ، لقد خط على صفحة ذهنه بيتاً كبيراً كبيراً جداً ، لم
أستطع أنا أن أملاه أو أتخذ مكانى فيه! ... إني حبيس قصر
رحب ، لم يستطع إيماني ، ولا جهدى ، ولا قدرتي ، أن تشغل

كل قاعاته وأبهائه ...

قلت ذلك وانصرفت خارجًا من شارع « بلبور » بعد أن
ألقيت نظرة أخيرة على شبح الشاب الواقف في النافذة ،
وهمست .

— وداعًا !... عفواً ... لم أستطع أن أفعل أكثر من ذلك !..
لعلك أنت الذى بالغت فى التفاؤل !...

ومشيت فى الطريق الذى كانت تقام فيه السوق كل أسبوع ،
ويذهب إليها الشاب ليحمل مؤنته من الأرز والبيض ، وينفق
« الفرنكات » القليلة ، التى لا يملك غيرها على مدى الشهر
الطويل ولكنه كان سعيدًا ؛ لأنه ما بالطعام وحده يعيش
الإنسان !... نعم كان سعيدًا ، بالأمل الذى يلمع فى الأفق ؛
كأنه نجم !...

ما تغير شيء فى ذلك الحى القصى ، إلا ذلك النجم الذى
اختفى والأفق الذى غشاه الضباب !..

بين جيلين

جاءنى ذات صباح أديب شاب .. وقدم إلى رواية مصرية ألفها
ونشرها فى كتاب ... وهو مزهو فخور منتعش ، كشجرة آتت
ثمارها ، فحملت كتابه فى يدي بعناية وحنان ... أقرأ العنوان ..
ثم شرعت أقلب بعض الصفحات ، وإذا حركة الباب تبلغ أذنى ،
فرفعت عينى فوجدت فتاة لطيفة المظهر أنيقة الملبس مشرقة
الوجه ، وضاحية الجبين : — تستأذن وتدخل وتجلس ، قبل أن
تمنحنى وقتا لرد أو جواب ، ولم تنتظر منى كلاما ؛ فقد انطلقت
هى تقول بلسان فصيح وحنان ثابت :

— إنى قارئة ساخطة نائرة .. جئت أوجه إليك سؤالاً واحداً :
ماذا تصنع الآن ؟ ... مضى العام تلو العام ، دون أن يظهر لك
كتاب فى السوق : أهى الصحافة التى شغلتك ؟ ...
وأشارت بيدها إلى جو الحياة الصاخبة الذى يحيط بمكتبى ..

* * *

والتفت إليها لأجيب ... ولكن الشاب سبقني صائحا
بحماسة: أمن الضروري أن يؤلف هو وينشر؟.. أليس في الدنيا
كتب أخرى جديرة بالقراءة تظهر في كل حين؟...
فنظرت إليه الفتاة دهشة ، ثم نقلت بصرها إلى كالمسائلة ؟..
فوجدتني أهر رأسي موافقا مصادقا مؤمنا ... فعادت إلى الشاب
قائلة :

— إني أسأله هو عما يشغله ؟!...

فقال الشاب بقوة وتدفق :

— ما لنا وماله ؟... فليشغل نفسه بأي شيء ، خيرا من أن يملأ
مائتين أو ثلاثمائة صفحة يجعلها قصة يتقدم بها في كل موسم ..
حتى يقال إنه دائب على الإنتاج ؟... ما كان أسهل عليه أن يكرر
نفسه ؟... ويخرج حلقات لا تنتهي على غمط « عودة الروح » أو
« عصفور من الشرق » أو « الرباط المقدس » أو « المسرحيات
الاجتماعية والذهنية » ، أو يستغل على الأقل كتب التاريخ ،
يستخرج منها قصصا لا تنفذ ، وينشر في كل موسم ما تشائين
ويشاء أمثالك ، لجرد النشر أو الكسب أو إثبات الوجود أو إظهار

النشاط !...!

— أتراه يستنكف من فعل ذلك ؟... أو لا يرى له جدوى !؟
— اطرحى عليه هذا السؤال ... ها هو ذا أمامك !؟...!

* * *

فالتفتت إلى الفتاة لحظة ، ثم انصرفت عني يائسة إلى الشاب :
— إنه يهز رأسه دائماً ... أجب أنت !...!

— ولماذا أجيب عنه ؟.. ولماذا تصرين على الكلام في شأنه ؟... إذا أردت فإنى أحدثك عن نفسى ... فأنا ولا شك ملم بكل تفاصيلها ، وأنا أديب ومؤلف وروائى و ...

— عجباً !... ولكنى لم أجيئ لأتحدث إليك !..
— هذا خطأ منك أيتها الأنسة !... لو كنت مكانك لسألت توأمن يكون هذا الشاب الموهوب الذى تدخل فى الحديث بهذه الشجاعة ، وطلبت أن يقدم إلى ... وأن يحدثنى عن كتابه الذى ظهر حديثاً ؛ لأطمئن على أن الأدب بخير ... سواء ألف صاحب هذه الحجرة أو لم يؤلف ... ونشر كتباً أو لم ينشر ، وعاش أو لم يعيش !...!

— إنها حقًا لشجاعة ، بل جرأة !.. إنك تتدخل على نحو
— لا تنظري إلى « صاحب الحجرة » !... إنه لن ينقذك مني
ولن يتكلم ... ولن يبت برأى .. إنه كما ترين يجيبك دائمًا بهز
رأسه !..

— هذا صحيح !... وأنت ، هل تعرفه منذ زمن طويل ؟...
— أعرفه منذ خمس عشرة سنة ... كنت يومئذ في الخامسة
عشرة وكان أهلي في البيت يتحدثون عن « عودة الروح » ولكنني
لم أحفل بقراءتها شخصيًا إلا عندما بلغت العشرين ... في ذلك
الوقت نشأت مع كثيرين من أقراني في الجامعة وشباب جيلي ،
وشبيت معهم وهم يلغظون ويتناقشون في الرواية المصرية الطويلة
التي شق طريقها ... ويقسمون بحماسة الصبا أنهم سوف يمشون
في هذا السبيل ، ويخرجون يوما روايات مثلها ونحوها منها عن
حياتنا القومية ، وقد برّ بعضهم بوعده ، ونشر قصصا على جانب
كبير من الطرافة والإلتقان !... وأستطيع أن أؤكد لك — أيتها
الآنسة — أني أحد هؤلاء النابغين !... أقولها بكل صراحة وبكل
تواضع !...

— إني متأكدة من صراحتك وتواضعك ، وعلى الرغم من كل شيء ، ثق أنى بدأت أهتم بأعمالك ... ولكن ، ألا تسمح لى قبل ذلك أن أعرف شيئا قليلا عن الأمر الذى جئت اليوم من أجله ؟! — تفضلى !... ماذا تريدان أن تعرفى ؟..

— السؤال بالطبع ليس موجهًا إليك .. أردت أن أعرف كيف يترك فنه العالى ، لينزل إلى الكتابة فى الصحف ؟..

— والله لقد حيرتموه !... إذا ارتفع بفنه قلم كيف لا يهبط إلى الناس : يشعر بشعورهم ويدرس أحوالهم ، ويعرف أنباءهم ، ويعرض شكواهم ، ويدافع عن حقوقهم !... فإذا فعل عدتم فقلتم : أين العزلة التى يكتب فيها لطائفة من الخاصة ... نصيحتى لك أيتها الأنسة ألا تلقى هذه الأسئلة السخيفة !... لا تؤاخذينى ! إن من يكتب لمئات الألوف ، ويستطيع أن ينفعهم بعض النفع ويرتفع بهم بعض الارتفاع ، هو رجل يؤدى خدمة عامة !...

— وفنه ؟!

— ما من فنان يستطيع أن يهمل فنه وإن أراد !... ولعلك

(ثورة الشباب)

تخلطين بين الفن وبين إنتاج الكتب في كل موسم ...! تخلطين بين الفنان والمعلم ، وبين المنتج والتاجر ...! ماذا تسمين ذلك الذى يسكت عندما ينبغى له السكوت .. عامين أو ثلاثة أو خمسة أو عشرة ، يدرس خلالها نفسه من جديد ، ويزن تأملاته ، ويختزن تجاربه ، ويراقب أحوال الناس وتطورات المجتمع ... ويراجع أعمالنا القديمة ، ويبحث — صامتًا صابرا — عن طرائق للتعبير الفنى جديدة ...! إن النشر يا آنستى سهل ، ولكن الصعب هو البحث الطويل فى الظلام ...! لعلك تجدينه الساعة مشغولا بالبحث عن نوع من الفن ، لا علاقة له بكل ما عالج من قبل ... « الفن طويل والحياة قصيرة » ...! تلك كلمة « جوتة » المشهورة ...!

إن من يريد أن يمسك بتلابيب « الفن » ... فى حياته المحدودة يجب أن يقفز فوق كل تكرار لا غناء فيه ...! وأن يركض خلف سرابه فى كل طريق حتى للقبر ...!

* * *

وسكت الفتى ، ونظر إلى كأنه يسألنى : هل أصبت؟ ...

فتلقى منى الجواب هزة من الرأس أيضا ... أما الفتاة فقد أكبرت
كلام الشاب الأديب وقالت :

— اسمح لي أن أبدى إعجابى بفهمك للفن ... وأن أسألك عن
كتابك ... فأني مشوقة إلى قراءته .. في أى المكتبات
أجده ؟...

— آسف كل الأسف يا آنسة ... إلى لم أجد ... إلا بنسخة
واحدة ... ولكن إذا أذنت فأني أرافقك الآن إلى أقرب مكتبة ،
وأقدم لك نسخة ممضاة ... ألدلك ما يقيقك هنا الساعة ؟..
— لا داعى لبقائى ، نستطيع أن نذهب تورا ...

ونفضت فى الحال وحيثنى تحية سريعة ، وانصرفت ...
ونفض الشاب لينصرف فى أثرها بعد أن حيانى هو الآخر تحية
سريعة ، ولم يكده يبلغ العتبة حتى بداله رأى ، فعاد أدراجه إلى
واقرب منى هامسا راجيا :

— المكتبات الآن مغلقة ... أكون شاكرا لو تفضلت ،
ورددت إلى هذه النسخة لأهديها إليها الآن ... أما أنت
فسأحضر لك نسختك فى وقت آخر ... إن المستقبل أولى من

الماضى !...!

فما تمالكك أن مددت إليه يدي بالنسخة ... وأنا أغمر له
بعيني راضياً باسمًا :

— صدقت !...! وإنى لأراه مستقبلاً مشرق الوجه و ضاح
الجبين !..!

* * *

تلاقى الأجيال

لم يكن من المتصور عندي أن أطرق موضوعا كهذا من قريب أو بعيد . ولكن الأمر لاح لي ممكنا عندما بدأت أنظر إليه من زاوية أخرى ... لم تعد المسألة مجرد علاقة بين أب وابن : لقد خرجت من هذا الإطار الضيق إلى إطار أوسع وصورة أكبر : هي صورة العلاقة بين الأجيال في عصرنا الحاضر . وتذكرت كلاما نشرته في هذا الموضوع منذ أكثر من عشرين عاما ، فنهضت أراجعه فوجدت لدهشتي مقالا بعنوان :

« انفصال الأجيال » قلت فيه يومئذ إن الجيل الجديد « يصير على أن يكون له رأى في محيط البيت والمدرسة والمجتمع ، وقد جاء هذا الجيل في ظروف عالمية تبرر الانقلابات وفي ظروف قومية تنادى بالحرية واجدا من الجيل السابق الذى يحتضنه مؤازرا التزعته ومشجعا ... لأن هذا الجيل السابق لم يكن إلا جيل الثورة المصرية

في عام ١٩١٩ ... على أن أبناءنا لم يقفوا عند هذا الحد ؛ فما من شاب يقبل منك الآن نصحا ... ما من شاب يقنع اليوم بأن يكون له في شئون أسرته رأى وفي مذاهب السياسة رأى وفي برامج دراسته رأى وفي أساتذته رأى . الجيل الجديد يعيش في عصر التغيرات الخاطفة والتطورات السريعة والاختراعات المفاجئة ، فأصبح لذلك أقل من الجيل الذي سبقه صبرا وجلدا وأقوى منه رغبة في كل تغيير وأعنف ثورة على كل ثابت مستقر ... الخلاف الحقيقي في ذلك التصادم بين الأجيال هو في ضياع الاحترام والثقة ... والسير لا بروح التعاون بل بروح التحدى .

تاريخ هذا الكلام هو ١٩٤٧ — ١٩٤٨ — ولم يكن بالطبع قد وصل الإنسان إلى القمر ! أو عرف انعدام الوزن والمشي في الفضاء مقلوب الرأس .. فهل ترى اليوم الصورة قد تغيرت بين الأجيال ؟ أنا اليوم أب لابن يمثل جيلا جديدا . جيل الشباب الذي جاوز العشرين ولم يبلغ الثلاثين . يفصلني عن هذا الجيل ثلاثة أجيال . أى حوار يمكن أن يقوم بيننا ؟ وما مدى التعاون المطلوب منى بالنسبة إليه ؟ ... لقد كان والدى أنا يجهل عنى

الكثير، يجهل أهم ما في حياتي وهو الفن . ما كنت أجرؤ على التلفظ بكلمة الفن أمامه . كنت إذا اقتضى الأمر أخففها وألطفها بكلمة أقرب إلى القبول والاحترام هي « الأدب » . ومع ذلك ما كان يبلغ سمعه صلتى بالأدب — وكنت قد تخرجت في مدرسة الحقوق — حتى يستعيز بالله ويستحوذ عليه الضيق والقلق . وصرت كلما صادفت صديقاً له بادرنى بقوله : « أبوك يشكو إلى طوب الأرض فزعا من أن ابنه قد أدركته حرفة الأدب ! » ... وأنا الآن أنتمى إلى الأدب والفن وشاء القدر أن يكون لي ابن أراد أن ينتمى هو الآخر إلى حرفة من حرف الفن ! فهل تغير الموقف ؟ ...

إذا سألت ابني فهو قائل لك إنه لم يتغير شيء ، وإنه يشعر بنفس الانفصال .. لم يقل لي ذلك في مواجهة ، أدبه يمنعه ، ولكن رأيه نقل إلى مسمعي ، وجعلت أسائل نفسي : كيف يمكن أن يحدث هذا ؟ ومع مثلي وفي زماننا هذا ؟! ... وأخذت أحلل الموقف لأكتشف أين يكمن الخطأ ؟ ... أهو في هذا التجاهل التام لما اختاره هو من طريق فني ؟ ربما ... فقد استقرت في أعماقه

فكرة ، من وقت ليس بالقريب ، أنى غير متحمس لما يفعل وأنى كنت أفضل بعده عن طريق الفن ... ولست أدرى منشأ هذه الفكرة ... ربما استشفها من ظواهر كثيرة بدت من اهتمامى بتوجيهه منذ صغره إلى أن يكون مهندسًا .. وقد سايرنى هو فى هذا الاتجاه بتفوقه البارز فى علوم الرياضة إلى أن غافلنى وظهر فجأة بميول فنية قبل السنة الإعدادية ... كان يكثر من الاستماع إلى الموسيقى الأجنبية فى البرنامج الأوربى للإذاعة .. ولم أشعر ذات يوم إلا وفى يده جيتار قىلى إنه زهيد القيمة طلبه من والدته فى عيد ميلاده ... ولم أر فى الأمر خطورة وظننتها هواية عابرة ... ولم أجد ضرورة فى أن أقيم الدنيا وأقعدھا كما فعل أهلى يوم رأوا فى يدى عودًا أعزف عليه إلى جوار الأسطى حميدة المطربة العالمة ، فالزمن قد تغير ، واعترف التعليم الرسمى بالنشاط المدرسى وهوايات الشباب ...

ولكن هواية ابنى سرعان ما انقلبت جدًّا .. وأصر على المضى فيها وإتقانها .. وإذا بوالدته قد استقدمت له أستاذًا يونانيًا متمكنًا علمه العزف حتى برع فيه ... وإذا بى أعلم بعد ذلك من ناظر

مدرسته أنه وقد نال الإعدادية قد كون فرقة موسيقية بالمدرسة
أثارت الاهتمام ... وجاء الصيف فاستأذنتني في الانضمام إلى فرقة
طلبتة للعمل معها أمام الجمهور الواسع خلال الإجازة .. فلم
أسمح له ورفضت رفضاً باتاً ... فأذعن على مضض ... إلى أن
كان في سنته التوجيهية فأتم تكوين فرقته الحالية ، ولكن في نطاق
ضيق وأطلقوا عليه اسم « بلاك كوتس » ... واستطاع أن يعمل
بها أمام الجمهور خلال إجازة الصيف بدون علمي ... وأكمل
دراسته الثانوية والتحق بمعهد السينما وقد تأكد لي أن الموسيقى
تجربى في دمه ولا أمل في أن تفارقه ... هنا أدركت أنا أن لا
مفر ... وكنت قد قرأت لأحد كبار المخرجين السينمائيين أن
الموسيقى بما فيها من إيقاع هي الذراع اليمنى للمخرج ..
فبكت ، وأصغيت إليه يوم طلب مني السماح له بأستاذ من
الكونسرفتوار يتلقى عليه أصول الهارمونية ... وقد نفعه ذلك
بالفعل في تأليفه المقطوعات الجديدة ، وفي إعادة توزيع وتركيب
المقطوعات القديمة على نحو جديد خاص بفرقة .. كما سمحت
بالسفر إلى إيطاليا وغيرها في رحلة فنية .. كل ذلك تم وكأنه

رأيه ينتزعه منى انتزاعا ... وجعل يشق طريقه بنفسه وسط ضباب من الفتور يحول بينى وبينه ... لم يجد التحمس له والمساندة إلا من والدته ... ولم يكن بيننا أنا وهو من حديث إلا عن معهده ... كان أحيانا يجرى تدريباته بالمنزل ويعلو صوت آلاته وأنغامه فيجد دونها باب حجرى الموصد ...

إذن لم يتغير شيء كما يقول ... ولم يزل هناك انفصال بين الأجيال ، على أن هذا الوضع لم يكن فيما يبدو لي يهمة كثيرا ، بل لعله كان يجد من الخير له ومن الراحة أن أبقى أنا بعيدا عن مجاله ... لكن الذى كان يود — هو وغيره من الأبناء — أن يحدث هو أن يرى الأب يشاركه على الأقل فى بعض الميول .. فهو يعيش عصره تماما ... يجيد السباحة والصيد تحت الماء بالرمح ، ثم الصيد فوق الأرض بالبندقية ويحذق الرماية ويقود السيارة ويحب الرحلات والمغامرات وأفلام السينما التقدمية بكل موجاتها الجديدة وكل مستحدث فى ملبس ومسلك ... إنه ابن عصره ... لكنه ينظر إلى جواره فيجد عصرًا أخسر ، يجد أبًا من طراز كلاسيكى ..

هل الانفصال بين الأجيال وضع حتمى لا أمل فى تغييره؟ أم أنه بالتفاهم والتعاون يمكن أن نصحح الوضع؟ ... نحن الآن فى عصر بدأ فيه تصادم عنيف بين جيل الشباب والجيل السابق على نحو لم يسبق له مثيل ... وجوهر الخلاف دائماً كان فى اعتقاد كل جيل سابق أنه صاحب الحكم الأصوب فى شئون العصر وأنه هو المنوط به وحده تكييف الحاضر وتشكيل المستقبل ، باعتباره قمة التجربة التى خاضت كل مراحل العمر ... وكان الشباب يتقبل هذا الاعتقاد بتوقير دون المناقشة فيه ، إلى أن جاءت الحروب والكوارث والمجاعات وفتحت أبواب جهنم الأرضية على صورة رهبة ، وكان الشباب هو الخطب والوقود ، وأدرك أن كل ذلك وقع بتوجيه الجيل السابق .. هنا بدأ يتساءل : « وأين قمة التجربة إذن ؟ » إن الشيوخ لا يستفيدون من أخطائهم عبر التاريخ ... وبدأ الشك يخامر الشباب ... وبدأت حصون الشيوخ تهتز ... وانهارت الثقة ... ولكن الشباب لم يشيد لنفسه بعد حصوناً ؛ إنه حديث عهد بثورته وشعوره بذاتيته ... ليس عنده بعد أفكا واضحة منسقة ... إنها ككل ثورة فى بدايتها ... تلك الحصو

القديمة ثم تقف حائرة بعض الوقت لا تدري ماذا تفعل !... لذلك عندما قامت ثورة الشباب في فرنسا وهزت حكم ديغول لم تقم وراءها فلسفة واضحة .. ولم يظهر بين الشباب من استطاع التعبير عنها سوى واحد أو اثنين ، ولم يكن كلامهما أيضًا بالمقنع أو العميق ، وعندما أرادوا شعارات تضاربت الاتجاهات ، وانتهوا إلى رفع صور رجال مثاليين شرفاء مجاهدين من أمثال جيفارا وهوشي منه وماوتسي تونج استوى في ذلك أبناء أصحاب الملايين وأبناء السوق المعدمين ...

وقد حاولت الحكومات أمام هذه الثورة .. فهي أخطر لديها من إضرابات العمال ومطالب المزارعين ... ذلك أن حركات الطوائف تقوم على أغراض محددة من رفع أجور أو مستوى معيشة ... لكن صيحات الشباب في كل مكان من الأرض ليس من السهل تحديدها .. إنها صيحة العصر كله ... إنها يقظة المستقبل الرهيب ... والمستقبل لم يعد كلمة غامضة ... آلة حقيقية تتحرك ... تقف على أقدام أماننا في صورة شباب سيعاصر سنة ٢٠٠٠ وما بعدها ... وحده يقف وقد اختفى من

حوله كل المتيمين إلى جيل الشيوخ . وهو لا يريد أن يصل إلى
أعتاب القرن القادم وقد دفعته من ظهره عقول تسوس العالم
بسياسة القرن الماضي .. لكن كيف السبيل ؟...

ما العمل والشباب لا يثقون ، وهم في نفس الوقت لا يعرفون
ماذا يفعلون ؟ ومن هنا الحيرة التي تبدت في مسلكهم غير
المألوف .. وهم كلما ثاروا اشتد الجيل السابق في اعتصامه
بمحصوله ... واتسعت شقة الانفصال بين الأجيال ...

وما دامت الثقة قد فقدت فالكلمات القديمة أيضاً أصبحت
محل شك ..

فالنصح والإرشاد والموعظة وغيرها من الكلمات التي
يستخدمها الجيل القديم أصبحت في نظر الشباب مثيرة للسخرية
ومرادفة للتسلط والاستعلاء ، مهما يكن فيها من رغبة النفع ونية
الإصلاح ...

لقد كان ابني يصمت أمامي تأدباً كلما بذلت له النصيحة
والموعظة الحسنة في أمور تخصه وتهمه . لكنه ما يكاد يترك
حتى يهمس للآخرين : « إنه يريد أن يمارس سلطته

الأبوية ! » ... إذن لابد من تغيير وسائل الاتصال لجيل الشباب ولابد من تعديل طريقة محادثته ، والبحث عن لغة جديدة وأسلوب جديد للتفاهم معه وأول شيء يجب أن نتجنب مخاطبته من فوق أسوار حصوننا القديمة . يجب أن نترك عالمنا ونذهب إليه في عالمه . ففكرة مراحل العمر المتصلة اتصال درجات السلم ، المؤدية إلى قمة تشرف وتسيطر على بقية الدرجات ، هي فكرة لم يعد لها اليوم قبول . والمقبول اليوم هو أن كل مرحلة لها شخصيتها وذاتيتها وقوانينها ولغتها ومفهوماتها.. أى عالمها الخاص . إن مراحل العمر ليست درجات سلم . بل ربما كانت عربات قطار . كل عربة مختلفة منفصلة عن الأخرى بمن فيها وما فيها . ومع ذلك متصلة بباب ضيق ، والقطار كله يسير إلى غايته المحتومة ، وركاب العربة الأخيرة من كهول وشيوخ لا يمكن أن يفهموا ويعرفوا ما يجري في عربة الشباب إلا إذا انتقلوا إليها ، وجلسوا بينهم في مقاعدهم . وهذا ليس بالأمر السهل . إن انتقال راكب من عربة إلى أخرى يجعل الأنظار تتجه إليه في شيء من الريبة ، فيخيم الصمت على الجالسين ولا تنفتح الصدور وتنطلق الألسنة

إلا بعد الاطمئنان إليه . وهذا لن يحدث إلا إذا نجح في اكتساب ثقتهم وتفهم همومهم والتحدث بلغتهم ، والنجاح في ذلك ليس مضموناً دائماً . هناك من المفكرين أمثال ماركيوز من أراد الدفاع عن الشباب فتكلم بلغته هو ، وقد صفق له البعض منهم لمجرد وقوف مفكر ممتاز إلى جانبهم ، ولكن المحامي الذى يقف إلى جانب موكله ويكسب قضيته ليس هو بالضرورة الذى يكسب قلبه ويعيش داخل عقليته .

تلك هى الصعوبة لمن يفكر فى رحلة إلى دنيا الجيل الجديد . وهى أصعب بالنسبة إلى مثلى ممن لا تجمعهم بالشباب اليوم أرض مشتركة من ميول عصرية أو روح منطلقة ... لذلك عندما اقترح على أصدقائنا فى الأهرام وأغرونى بالذهاب لمشاهدة ابنى وفرقة صدمنى الاقتراح ووجدت الأمر شاقاً ، بل كدت أراه مستحيلاً . فأنا الآن لا أخرج ليلاً ، فما بالى لو سهرت إلى ما بعد منتصف الليل !.. ولكنهم زينوا لى الأمر ويسروه على مداركى بقولهم إن السهر ليلة واحدة ثمن بخس إلى جانب محاولة فهمك لهذا الشباب . وإنه لمن المستغرب لشاهد على عصره أن يفقد حب

الاستطلاع إلى هذا الحد ..!

قلت انتظروا حتى أسأل ابني أولا ، لأرى وقع هذا على نفسه وهل يسره حضوري حقاً أو أنه سيتوجس منه خيفة .. ولما فاتحته في الأمر أطرق مليا ، ثم رفع رأسه وقال بلهجة المستريب إنه يعرف مقدماً شعوري نحوهم وما أنا قائل فيهم . وروى لي أن المغني فرانك سيناترا عندما استمع إلى ابنته وقد احترفت مثله الغناء وسئل عن رأيه فيها سفهها ورمائها بجهل أصول المهنة . كذلك فعل شارلي شابلن مع أولاده عند احترافهم الفن .. إنها نعمة قديمة معروفة أن يقلل الفنان الكبير من شأن أولاده ، تعاليا أو تظاهرا أو خوفا من اتهامه بالتحيز والمجاملة .

فأكدت له أن هذا لن يحدث معي ، وربما حدث لو أن حرفته كانت مماثلة لحرفتي أي الأدب والكتابة ، كنت انهلت عليه فعلا بالنقد وأرهقته بالملاحظات ، وما كنت أستطيع كبصح جماح رغبتى في تقليد سيناترا وشابلن . وكلاهما يشارك أولاده في نوع الحرفة . أما ونحن مختلفان في نوع العمل فليس لابنى أن يخشى منى ، ولا أَرْضى لنفسى أن أخوض فيما ليس لي علم به . ولن

يكون موقفي سوى موقف المشاهد العادي. وأعده أني سأفرغ من نفسي كل ميل مسبق ومن رأسي كل رأى شخصي . ولن أقدم على المشاهدة بروح التعالي أو الاستهانة أو التحدى . فمهما يكن من أمر اتجاهاتي في الفن فإنني أكره الظهور بمظهر المستخف باتجاهات الآخرين . ولست أنوي أن أكون المفكر الذي يعتصم بذوقه في أبراج ألوان من الفن استقر تقديسها مدى القرون ويتعالى على أنواع أخرى جديدة لم تزل محفوفة بالشكوك ، دون أن يكلف نفسه شجاعة تذوقها أو يجازف بالحديث عنها . وأعترف على نفسي أني كنت ، وربما لم أزل ، من هذا الطراز ؛ وسبق لي أن كتبت مستهينا بموسيقى الجاز ... وأذكر أنه عندما جاء جان بول سارتر وسيمون دي بوفوار إلى مصر أن بدر مني كلام ضد هذه الموسيقى وإذا بي لدهشتي أفجأاً بتقرير غريب من هذين المفكرين لموسيقى الجاز هذه تأكيداً لما نشره في هذا الصدد من كتب وخاصة كتاب « مواقف » لسارتر ، وأدركت يومئذ أنهما لا يريدان أن يتعدا عن تذوق وتفهم كل ما يتصل بروح العصر . لكن السؤال الآن : ما هي روح العصر؟ إن الإجابة ليست

(ثورة الشباب)

بسيطة والرأى عندى أن نتلمسها فى أبرز الدلالات . ولا شك أن أهم ما يدل على روح العصر سرعة الإيقاع وصخب الحركة ، ذلك أن العام الواحد من عصرنا الحاضر تقع فيه من الأمور والأحداث وتتم فيه من الاكتشافات والمغامرات ما كان يتم من قبل فى أكثر من مائة عام . لم يعد عصرنا عصر الجلوس والتأمل ، بل عصر التفكير المتحرك . وانعكس ذلك على الشباب الذى فتح عينيه فوجد نفسه فى قلب العصر الجديد فلم يطق جلوسًا ولا هدوءًا ... إنه يريد أن يتحرك مع العصر المتحرك فى موسيقى متحركة صاخبة ، لا أن يسترخى مسمرًا فى كرسي نصف مغمض فى موسيقى ثابتة متأملة . إنه لا يريد مجرد الاستماع بل يريد أيضًا المشاركة . لا يريد أن يبقى فى مكان بل يطمح إلى الانطلاق فى كل مكان ، ويكتشف الأرض سهرًا على الأقدام ، أو قافزًا إلى سيارة مارة ، أو منبطحًا على ظهر سفينة عابرة ، لا يقف أمام عائق من خلو الجيب أو خوف المخاطر أو رهبة المجهول ..

إن أهم مظهر للشباب اليوم هو أنه استشف بغريزة خفية أعظم رؤى المستقبل وهى « وحدة العالم » فالكرة الأرضية الواحدة

المتحدة في نظر إنسان الفضاء وهو خارجها يراها الشباب كذلك من داخلها ... فاتحدوا جميعاً الأبيض والأسود والأصفر في كثير من الأذواق والأهداف والمثل العليا الإنسانية ، واجتمعوا في شبه زى واحد ورقص واحد في كل مكان تعبيراً عن حركة الحاضر وبشيراً بوحدة المستقبل .. إنها إذن دلالة وعلامة .. ربما ليست موجة طارئة .. لكنه قد يكون هو العصر يصبغ بلونه ويحرك بإيقاعه هؤلاء الشباب . وأكثر من ذلك ما شاهدته في باريس في أواخر السبعينات من انتشار حوانيت الحلاقة التي تقوم فيها النساء بالحلاقة للرجال . وعليها « لافتة » بها عبارة « مونوسكس » أى « جنس موحد » لا تعرف تسريحة الشعر فيه أهى لرجل أو لامرأة !... ثم شاهدنا أنا والدكتور حسين فوزى مسرحية « الملك لير » لشكسبير ، تمثلها فرقة « شباب » بأسلوب عصرى يسمونه « أسلوب الصدمة » !.. أى صدم الجمهور بالملك لير العجوز في صورة « شاب » كثير الحركة والعنف يجرى خلف بناته ركلاً « بالشلاليت » وصياًحاً مزعجاً بشعر « شكسبير » ! فاستعدنا بالله من هذا العصر ! عصر القنابل النووية وصور

« بيكاسو » و « الجنس الموحد » ! أيديوم هذا العصر المجنون إلى قرن آخر ؟! ... لا أظن ...

كان القرن الماضي قرن التأمل الجالس ، أما القرن الحالى فهو قرن الفكر « الخبول » الراكض ... وعندما بدأ القرن الماضي يغادر منتصفه وظهرت بوادر الرغبة فى الحركة ممثلة فى فالتسات جوهان سترافوس ، استقبلها الشعب فى الحانات والطرق بالحماس ، وطرقت نغمات « الدانوب الأزرق » أبواب القصور فارتاع النبلاء والأرستقراطيون والمتدينون والمفكرون المتزنون واعتبروها فضيحة !... واستمرت الموسيقى الكلاسيك نفسها فى التجديد إلى حد ظهور نظريات فيها تعتبر « النشاز » نوعا من التجديد !... ..

ولم تكن موجة طارئة كما يتوقع دائماً التقليديون ، ولكنها كانت استجابة لصيحة العصر النووى الذى لا شك قد ظهرت أعراضه !.. واستمرت فى تطورها واتخذت من الأثواب والتحويلات ما نقل الفلاس من صورته الماضية إلى صور أخرى ممثلة فى هذه الأنواع من الموسيقى الراقصة الحاضرة ... وأصبح

الفالس الذى كان يعد فى وقته منتهى الحركة هو اليوم منتهى الهدوء ...

ولكننا نحن الشيوخ الذين عشنا طويلا فى أمجاد القرن الماضى واعتادت أسماعنا موسيقى التأمل ، ولا تستجيب أجسامنا إلى موسيقى الحركة ، ماذا نحن فاعلون ؟ ...

ما من شك أن موسيقانا القديمة ستظل باقية ... فالإنسانية فى حاجة دائما إلى تراثها الخالد الجميل .. ولكن المشكلة هى : هل نغلق أنفسنا مع كنوزنا الخالدة ونسد آذاننا عن صخب أبنائنا ؟ أو نحاول أن نفتحها ونفهم ماذا يفعلون ؟ ... وأكثر من ذلك أن نحاول جاهدين تذوق بعض ما يتذوقون ، حتى نلتقى بهم ولو فى منتصف الطريق ؟

تلك هى محاولتى ... وقررت الذهاب والله المستعان ... وخوفاً من ترددى فى آخر لحظة صمم الأستاذ الفنان صلاح طاهر أن يرافقنى باعتباره أستاذ إسماعيل فى معهد السينما ، قائلا إنه أقدر الناس فهماً لطبيعته الفنية ، كما شاء الدكتور يوسف إدريس أن يكون معنا باعتباره أقربنا إلى الشباب وأكثرنا اهتماماً بدراسته

وأشدنا دهشة لعدم معرفتي بما يؤديه ابني من عروض طالما تمنى أن
أشاهدها ..

لكن لماذا لم يدهش أحد دهشة كهذه لعدم مشاهدة ابني
بعرض مسرحياتي ؟!... لقد سئل ابني ذات مرة في ذلك فقال :
إن هذا من محاسن الصدف ، أن لا يعرض هو أدباً ولا أعرض أنا
موسيقى ، وأن يبقى هو في دكانه وأنا في دكاني ، وأن لا يتدخل
أحدنا في شئون الآخر ...

ذكرني هذا بموقف قديم حدث لي مع والدي ، يدل على ضيق
الأبناء بتدخل الآباء في أعمالهم .. كان ذلك في يوم من عام
١٩٣٥ ، وكنت مديراً للتحقيقات بوزارة المعارف و كاتباً
معروفاً ، فزارني والدي في مكنتي وكان عندي صحفي يجري
معي حديثاً في الأدب والفن ... وإذا بي أفاجأ بوالدي يتدخل في
الحديث الصحفي ويريد أن يتجه به الاتجاه الذي يروق له هو ،
ويصحح لي آرائي تبعاً لما يريد ويتراءى له ويتفق مع نظراته
ومعتقداته ، وما أشعر إلا وقد نحت أنا وعزلت وعملت كما لو
كنت لم أزل طفلاً ...

نفس هذا الشعور يخالج ابني اليوم عندما أتدخل في شأن له ،
ونفس الألفاظ يرددها : « والدي ما زال يرانى الطفل
الصغير ! » . يظهر أنه ما من شيء يعقد الأبناء نفسيا كهذه
الفكرة ...

أذكر أيضا عن والدي أن وقعت في يده بالمصادفة نسخة
مخطوطة لمسرحيتي شهرزاد قبيل نشرها ، وقرأ فيها عبارة تصف
جسد شهرزاد الجميل والشهوة التي تسعى في الظلام ، فجاء
يقول مشمئزاً : « ما هذا الكلام المخجل الذي يخدش الحياء ، هذه
قلة أدب ، يجب أن تبادر فوراً إلى محو هذه العبارات البذيئة » ...
قلت بعد ذلك لنفسى : كيف لو كان عاش ليقرأ الكراسة الحمراء
في روايتي « الرباط المقدس » ! ...

* * *

حان موعد الذهاب لمشاهدة إسماعيل وفرقة ... كم مضى من
الأعوام لم أضع قدمي في مكان راقص ؟ .. وهل أستطيع احتمال
الرقص والراقصين ؟ ... وأخذت أسترجع أيام شبائي في أوائل
العشرينات ... يوم هبطنا باريس أول مرة ... أغراني اثنان من

أصدقاء عمرى هما المرحومان الدكتور حلمى بهجت بدوى والدكتور مصطفى القللى بأن أتلقى معهما دروسًا فى الرقص ، مؤكدين لى أهمية الرقص فى تلك البلاد ، وضرورة معرفته لمن ينتظر له أن يدعى يومًا إلى الحفلات ويتصل بالمجتمعات فأذعنت لهما ، ودلنا أحد أولاد الحلال على مدرس يدعى « أرتورو » طلب من كل واحد منا ما يساوى جنيهاً وأعطى كلاً منا دفترًا صغيرًا به عشر تذاكر ، كل تذكرة تخول الحق فى أخذ درس ... وضمن لنا بعد عشرة دروس كاملة أن نصبح من مهرة الراقصين ... وذهبنا إلى الدرس الأول .. وبدأ بالصديقين ... ولم يكذب يخطو بهما خطوة ويدور دورة حتى بدت عليهما علامات النجاسة وظهرت بشائر الفلاح .. أما أنا فعلى الرغم من هدوء الرقصات فى ذلك العهد فقد شعرت بعد أول خطوة ودورة أن الدنيا كلها قد اسودت فى نظرى وأن دماغى هو الذى لف ودار من الدوار ، وأسرعت أوزع تذاكرى على الصديقين ، ورضيت من الغنيمة بالإياب ...

إذن فليهن الله على مثلى هذه الليلة ، وليتمها على خير ! ...

وأخيرًا حملنى الرفاق إلى السيارة ... ولم يمض قليل حتى وجدت نفسى وسط أضواء خافتة ثم فجأة ساطعة بمختلف ألوان خطفت من كل جانب أبصارى غير المعتادة .. والرقص دائر فى الحلبة ، وعيون براقه مشدودة إليه ، ورؤوس أو نفوس خيل إلى أنها تهتز فوق موائد حافلة ، وطعام وشراب يجىء ويروح فوق صحاف كأنها تطير من حولى فى الهواء . وصرت كريفى فى مولد ... مولد يحضره لأول مرة ... وكان هذا الذهول هو ولا شك ما توقعه منى أصحاب المؤامرة فى « الأهرام » . ولقد ذهلت فعلا ولم أدر للحظات أين موضع قدمى ولا إلى أين هى سائرة بى ... وتركت قيادى للرفاق ، يجلسوننى حيث شاعوا ... لا أستطيع أن أصف ليلتى ولا أريد ... كنت قد أخذت على رفاقى العهود والمواثيق أن لا أتأخر كثيرا عن منتصف الليل ، وإلا تركتهم وانصرفت وحدى ، فوعدوني خيرا ... وبدأنا نلتفت إلى ما حولنا ونشاهد ونندمج شيئا فشيئا ونتأقلم ... وإذا بهم يفاجئوننى بأن الساعة قاربت تمام الثالثة صباحا ، فقفزت من مكانى أصبح بهم : كيف حدث هذا ؟ ...

الحق أنى لم أشعر بالوقت ولا بالملل ... حيوية الشباب الدافقة
من حولى معدية كالمرض ... إن الصحة والمرض سيان فى العدوى
فى بعض الأحيان .. لم يعد عندى شك أن الجذوع العتيقة
الراسخة فى الأرض يمسها نبض من نشاط الأغصان ... هذه
الأغصان المتأيلة بلطف مع الأنسام ، المتحركة بعنف مع الرياح ،
قانون حياتها هو هذه الحركة التى نسميها الرقص ... وما من قوة
فى الأرض تستطيع وقف هذا القانون على مدى القرون .. كان
يخيل إلى أن جذع الشجرة ينزع من عنف اهتزاز الغصون ،
ويخشى على نفسه من الاقتلاع . لكن من يدرينا ؟ ... لعل ذلك
يسره ويهجه ويرى فيه دليل حياة له هو أيضاً وهو الجامد كخشبة
تنتظر السوس ... وقد يستفيد أيضاً ذلك الجذع الحى من حركة
الأغصان معرفة اتجاه الريح ! ...

ولفت الرفاق أنظارى إلى إسماعيل وهو يحمل جيتاره ويعلق
ساكسفونه ويتنقل بينهما عازفاً ونافحاً ، فلم أتبين فيه إلا بن
الهادئ الصامت فى المنزل على الدوام ... القليل الحديث عن نفسه
وعمله ... أحياناً أشجعه على الكلام أفتح له ما يجبه من

موضوعات ، فأسأله عن بعض ما يصادفنى فى الصحف الأجنبية من أسماء أعلام الجاز ، فقد يدهشنى أن موسيقى الجاز أصبحت لها من الأهمية ما حمل المجلات الأدبية والفنية المحترمة التى أطلعها على أن تفرد لها عمودًا دائمًا إلى جانب عمود الموسيقى الكلاسيكية ...

كان الموضوع يخرج من قوقعته قليلا ... فهو بطبعه قلما يفيض بالكلام ... إن الصمت والاقتضاب عنده أكثر من الإفاضة والاسترسال ... وما يعلمه ويحسه أكثر مما يتكلم به ، ومن القليل الذى تحدث به تبين أنى ملء كل الإلمام بتفصيلات الفن الذى اختاره .. كما اتضح لى أنه ليس بعيدا عن الموسيقى الكلاسيك التى ترضينى ، وله فيها نظراته وخاصة إعجابه بفن « شوبان » الذى أهملت أنا تقديره حق قدره ... وكذلك « كوايتورات بيتوفن » ... واعتقاده أن موسيقى الجاز الحقيقية يجب أن تقوم على أسس الموسيقى الكلاسيك مع الإضافة إليها بعد ذلك كما تشاء ... وكان هذا ما طمأننى بعض الشيء ... فاعتقادت دائما أن نوعية العمل لا تهم ... وأن قيمة أى عمل هى

فى تغميقة وإتقانه ... ورب عمل كبير انخفض بسطحية
أصحابه ، وعمل صغير ارتفع بعمق أصحابه ... وذرة التراب
تبقى ذرة تراب لمن يراها كذلك ، وتصبح عالما تدور فيه أفلاك لمن
يكشف فيها ذلك ...

وجاءت الاستراحة واقترح الرفاق دعوة أعضاء الفرقة
لتحيتهم . وكان هدفهم الأكبر ، كما كان هدف أصحاب هذه
المؤامرة فى « الأهرام » هو أن يجمعوا بين الأب وابنه ، وأن يحشوا
الوالد على تحية ولده ، وتصوير ذلك بقلمه موقف
دقيق !... وإذا كان من الطبيعى أن يرحب أب بابنه فإن كتابة
ذلك أمر مخرج غاية الحرج . ثم إن عاطفة القلق عند أب مثلى تغلب
عاطفة الرضا . ولم أعد أدرى كيف أرضى الأطراف التى دفعتنى
إلى هذا الموقف ... وبدأ لى أن لا نجاة إلا فى الصدق ... فلا تكن
صادقا مع مشاعرى وكفى ... ومشاعرى كأب مفهومة ...
ولا أريد أن أسهب فيها أكثر من ذلك ... لكن الجديد هو أنى
شعرت حقًا بفرح غامر وحب وعطف على شباب الفرقة كلهم
كمجموعة نادرة الاتساق فى المحبة والمودة والفن ... بعثت فى

نفسى سعادة الصبا ... هؤلاء الشباب المرح الطيب المجتهد ،
كنت أمر بهم عن بعد كشبح مخيف يتوجسون منه وهم يجرون
تدريباتهم الشاقة بصبر ودأب وإصرار ... كنت أتحاشاهم خشية
أن أخجلهم أو أشعرهم بالتدخل فى شأنهم ... كان بينى وبينهم
جدار .. وكانت هذه الليلة هى أول مرة تتلاقى فيها بالمصافحة ،
وأشعر فيها أنهم فرحون أيضاً بهذا التلاقى ...

إن أهم ما فى تلك الليلة عندى هو أن هذا التلاقى بالشباب
أشعرنى أن فى الإمكان إزالة الأسوار القائمة بين الأجيال ...

* * *

مسئولية أدباء الشباب

نحن اليوم على أبواب مرحلة من مراحل الأدب العربى الحديث .
مرحلة يوشك أن يتسلم فيها أدباء الشباب المشعل الذى يضىء
للمستقبل ، وهى مسئولية لا ريب أنهم قد بدأوا يشعرون بوقرها
على كواهلهم ، ولذلك جعلوا يعرضون لمشكلات جديدة ،
ظنوا أن من واجبهم أن يقطعوا فيها برأى حاسم ، فكان أن تجادلوا
فى أمر اللغة الفصحى والعامية ، وأدب المجتمع ، والفن للفن ...
إلى غير ذلك من الموضوعات التى لا ينتهى فيها حديث ما دام بابها
قد فتح ...

ولا بأس من الحديث فى هذه الشؤون ، ولا ضرر من تصارع
الآراء فى ميدان الأدب والفن والفكر ، فكل هذه المناقشات منتهية
بإذن الله فى ضمير الفنان الحق ، إلى زبد يذهب جفاء ، لأن الفنان
الحق لا يصغى إلى كلام ولكنه يعكف على عمل ، وما من رأى فى

الأدب والفن كان له قيمة بمفرده، ولا يعيش الرأى إلا من خلال الأثر...

اصنع أولاً الأثر فى الأدب والفن، وهو يتكلم لك عن آرائك أمام الأجيال، لذلك لن تكون لكل تلك المناقشات، وكل تلك الآراء— ما دامت طائفة فى الهواء، ولم تصاحبها أعمال— قيمة تنفع الناس وتمكث فى الأرض... العمل القيم هو كل شىء فى الأدب والفن، الخلق الإنشائى هو وحده الباقي الراسخ بما نفخ فيه من روح الحياة الباقية...

وهنا يأتى سؤال: ما هو العمل القيم؟... أهو المكتوب بالفصحى أم المسجل بالعامية؟... أهو الذى يخاطب الخاصة أو الذى يكتب للعامة؟... أهو الأدب للحياة أو هو الفن للفن؟... إذا التمسنا الجواب عند الآداب الكبرى العالمية، فإننا نجد فيها لكل مذهب من هذه المذاهب مكانه المعترف له فيه بالقيمة والبقاء...

فالعمل القيم هو العمل القيم وكفى ...

ومع ذلك يجب أن نحاول قليلا تحديد معنى القيمة فى العمل الفنى، وهو أمر شاق، فلأحاول على كل حال:— أظن أن قيمة

الأثر الفنى مردها من حيث الشكل : إلى الكمال والإتقان والقدرة والتمكن ، حتى عندما يلجأ الأديب الفنان إلى استخدام لغة عامية ، فهو لا ينبغي له أن يلجأ إليها لعجز أو لهروب ، بل لتفوق واقتدار ، ورغبة فنية في إحكام التعبير ، هكذا فعل « روبرت لويس ستفنسون » وهو من أبلغ الشعراء الإنجليز كتابة بالفصحى عندما جعل البحارة يتحاورون بلغتهم العامية المستبهمة ، وهكذا فعل « شارلز ديكنز » وهكذا فعل « جورج دى كورتلين » .

القدرة والتمكن والإتقان والطمع فى الكمال ... تلك هى صفات الأثر القيم من حيث الأسلوب والشكل ، أما من حيث الموضوع ، فأبرز الصفات اللازمة هى : الإنسانية ، هى كل ما يؤثر فى الإنسان ، فى كل زمان ومكان ، وما يدفعه إلى السمو بنفسه ، وما يخطو بمجمتمعه إلى مصير أفضل ... كل ذلك فى إطار من المتعة الفنية الرائعة الراقية الباقية .

الإتقان والإمتاع والإنسانية .. تلك أهم صفات الأثر الأدبى والفنى فى نظرى .

فمن أنتج في الأدب أو الفن عملا غير متقن في أسلوبه الفني ولا محكم في تعبيره الأدبي ، فقد وقع في العجز الشكلي .
ومن صنع عملا لا متعة فيه ولا روعة فقد صنع شيئا آخر غير الأدب والفن .

ومن صنع عملا متقنا ممتعا رائعا ، ولكنه فاقد المعنى الإنساني والفكرة الدافعة للإنسان والمجتمع ... فقد صنع أدبا وفنا ..
ولكنه أدب وفن من طراز بارع الصنعة ، زهيد القيمة ، كالزجاج البخس البراق ، لا الجواهر النفيسة الثابتة .

والآن ، فلنعد إلى مسئولية أدباء الشباب ، أو من يسمونهم اليوم كذلك ، وهم أولئك الذين ستركز في جهودهم الحركة الأدبية والفنية في السنوات العشرين أو الثلاثين القادمة ...
ما هي حقيقة المسئولية الملقاة على كواهلهم ؟ ...

أول شيء يجب أن يكونوا حراسا على القيم الحقيقية في الفكر والفن ، وأن يجددوا ما شاء لهم التجديد ، ولكن داخل إطار الإتقان والتفوق والتجويد ، ومن أجل ذلك يجب أن يحاربوا روح الاستخفاف والاستهتار والابتذال في كل ما يمس الأدب والفن ،

فغصّر السرعة بصحافته وإذاعته ، وعصر التعليم العام بجماهيره
الواسعة المستهلكة لرخيص البضاعة الأدبية والفنية ... كل هذا
يقضى نهائياً على الأدب الحقيقي النابع من المواهب الحقيقية ، إذ لم
يجد في أدباء الشباب ، قادة الغد ، حاميا قويا للإنتاج الجديد ،
وسدا منيعا يحول دون تسرب الغذاء الفكرى الفاسد إلى نفوس
الشعب . كما أن عليهم واجب الدفاع عن حرية الأب ومسئوليته ،
والأديب الحر فى نظرى هو المسئول أمام ضميره وحده ، عما
يكتب ويتتج خدمة للإنسان والمجتمع بالطريقة التى يراها هو
وحده .. لأن الأديب الحر الحق هو المسئول أمام نفسه وحدها ..
فأدباء الشباب هم المسئولون عن مجتمعهم الجديد أمام أنفسهم
وأمام التاريخ الأدبى ، لأنهم هم الذين سيؤثرون فيه بكتاباتهم تأثيراً
مباشراً فى السنين الثلاثين أو العشرين القادمة . وأن آثارهم
ستكون هى القدوة والمثال لجيل جديد من غلمان اليوم
ومراهقيه .

وقد يسأل سائل : وما أثر جيلنا نحن فى السنوات العشرين أو
الثلاثين القادمة ؟ ... فأقول : من يدري ؟ ... ربما قرئت كتبنا فى

الغد كما نقرأ اليوم كتب « المويلحي » و « المتفلوطي » .. وقد تصبح أساليبنا صالحة للدراسة التاريخية ، وغير صالحة للاستعمال العصري .

وهل يستطيع كاتب اليوم أن يكتب بأسلوب « المويلحي » أو « حفنى ناصف » دون أن يتعرض لسخيرية الساخرين ؟... وهل يكتب أحد اليوم فى إنجلترا بأسلوب « شكسبير » .. أو حتى بأسلوب « تاكرى » أو بفن « توماس هاردى » أو « جالسورنى » ؟

وهنا تظهر مسألة أدبية ...

ما هو إذن الأثر الحقيقى للقدماء ؟ .. ما هى قيمة فن الأجيال الماضية بالنسبة إلى الجيل الطالع ؟ ..

للإجابة عن هذا السؤال ، يجب أن نفرق بين الاحتذاء وبين الاهتداء ، بين المعالجة وبين التكوين .

الواقع أن الجيل الجديد لا يحتذى فى المعالجة إلى أقرب معاصريه إليه ، لأنه يتصل بأساليبهم الجديدة اتصالاً مباشراً ، ولكن ما من أديب أو فنان يصح أن يسمى أديباً أو فناناً ما لم يستوعب فن

القدماء يهتدى بهم فى تكوينه الأدبى والفنى .
الأساليب الأدبية والفنية فى تطور مستمر.. ولكن أساليب
الأجيال الماضية يجب أن تسهم جميعها فى تكوين الأديب الجديد أو
الفنان الحديث .

نخلص من هذا كله إلى أن أدبنا فى العشرين أو الثلاثين سنة
القادمة قد يجعل جيلنا صالحا لمهمة الهداية والتكوين ولكنه سيضع
القيادة الفعلية والنماذج المباشرة فى أيدي أدباء الشباب .
وبهذه النماذج سيلوّنون وجه الأدب بلونه الجديد .
وتلك مسئوليتهم ... ويا لها من مسئولية !..

* * *

الشباب والتجديد في الشعر

لست ممن يتمسكون بعمود الشعر القديم وأوزانه وقوافيه بغير جدال ومناقشة ، فأنا مستعد دائما للإصغاء إلى كل رأى جديد ، وليس كل شعر يدبج على الطريقة القديمة يعجبني ، فمن شعراء اليوم من يحاول تقليد القديم بفخامة الديباجة ، وغرابة اللفظ ، ورصانة العبارة ، ورنين الوزن ، والتزام القافية ، فإذا بي أجد الناظم ولا أجد الشاعر !.. وإن من بيننا اليوم من يزعم أنه شاعر مجيد لمجرد أنه يملك قاموساً عربياً ، ويجيد القوافي والأوزان ، ويجد من يصدقونه ويظنون أنه يقول شعراً !...

ليس بشاعر حق ذلك الذى يقدم الصخرة ولا يفجرها حياة !... وليس بشاعر حق ذلك الذى يغرف من نهر النثر كلاما ككل كلام !...

هذا من حيث « الشكل » ...

وإذا تركنا الشكل وأخذنا الموضوع ، فإن المسألة تحتاج كذلك إلى بحث آخر . ما هي المعاني الجديدة التي يجب أن يتناولها الشعر الجديد ؟ .. وأقول « يجب » على الرغم منى .. لأنى ضد كل إرغام فى الفن عامة وفى الشعر على الأخص ، ولكن كلمة « يجب » أصبحت متداولة بين شعراء الشباب وأدبائهم ونقادهم اليوم ، فلا بأس من استعمالها فى هذا المقام ...

هل كل موضوع تتناوله الصحف ، ويتحدث به الناس فى المجالس يصلح للفن الشعرى ؟ ... هل موضوعات النثر تصلح أيضاً موضوعات للشعر ؟ ...!

قد يقال إن الشعر فن إيحائى ؛ وليس بالفن الإخبارى .. إنه مصباح كمصباح علاء الدين يكشف لك عن كنوزك أنت الخبوءة فى أعماق نفسك ، ولكنه ليس بالكيس المملوء الذى يفرغ فى خزائنك الخاوية ..!

وعلى هذا فالموضوع الذى يعالجه يجب أن يكون متفقاً مع طبيعة رسالته ... أى أن يكون الموضوع شفافاً مضيئاً عالياً حتى تكون له قوة الكشف والإيحاء لا أن يكون موضوعاً ثقيلاً إعلامياً

يملاً الرأس بمادة محدودة ، ولا أن يكون أخباراً وأحاديث وتواريخ
وحوادث مرددة ممضوغة مما استهلكها النثر فلم يبق للشعر إلا أن
يضعها في « العلب نظماً محفوظاً » ..!

كل ذلك قد يقال ، وكل ذلك صحيح في جملته .. ولكنني في
الفن أفضل دائماً الاعتماد على الفنان .. أكثر من الاعتماد على كلمة
« يجب » . إن الفنان عندي هو الساحر الذي لا يسأل عما فعل ،
لأنه ما دام فناناً حقيقياً أصيلاً فإنه قد ير بسحره المعجز وحده أن
يفعل كل شيء . إنه قد ير بمواهبه أن يرتفع بالموضوع العادي إلى أسمى
مراتب الشعر ، في حين أن الفنان الكاذب الرديء قد يهبط
بالموضوع الشعري إلى المستوى السوق أو الإخباري ...

تخرج من ذلك كله إلى أن التجديد في شعرنا العربي من حيث
الشكل والموضوع ، لن يكون تجديداً حقيقياً وجدياً إلا إذا قام
على طاقة كبيرة من الثقافة والموهبة والتجربة تستطيع أن تتحدى
الصعوبات وأن تقارعها وتنازلها ، فما من فن يحتاج اليوم إلى أشق
الجهود لإنهاضه مثل الشعر ... لا الشعر العربي وحده بل الشعر
في كل لغة .. حتى لقد قيل إن عصرنا ليس عصر الشعر ، لفرط ما

يلاقى الآن فى كل مكان من ازورار وفتور .. فقلما توجد فى عواصم العالم المتحضر اليوم دار نشر تقبل على طبع ديوان شعر ، أو دار تمثيل — إلا فى النادر — تجازف بإخراج تمثيلية شعرية .. ذلك أن الشاعر العظيم الذى يفرض عبقريته على عصره غير موجود الآن فى العالم بالقوة أو الضخامة التى وجد بها فى القرون السابقة ... وكل ما يوجد اليوم محاولات غامضة أو يائسة لتجديد الشعر فى نطاق ضيق من خاصة المثقفين المتحمسين .. فهل معنى ذلك أن عصر الديمقراطية والشعبية هو النثر ؟ ... أو معنى ذلك أن هذا العصر الحديث لم يوفق بعد إلى الطابع الشعرى الذى يناسبه ويمثله ؟ ...

سؤال لم يزل بلا جواب ... وما من جواب لمثل هذه الأسئلة إلا الظهور الفعلى لشاعر العصر المجدد الحقيقى ... متى يظهر ؟ ... كيف يظهر ؟ ... ما من أحد يدرى .. كان هذا العصر حقًا محتاجًا إليه ... وعندما يظهر سيأتى معه بأسلوبه الجديد الذى يناسب عصره ...

تحذير للشعر الجديد عند الشباب

قد يظن البعض أنك إذا أردت أن تكون شاعرًا جديدًا فما عليك إلا أن تأتي بموضوع مما تتناوله الصحف اليومية وتكتبه نثرًا ، ثم تقسمه إلى جمل مختلفة في الطول والقصر ، وتضع كل جملة في سطر ، ولا بأس من أن يكون في السطر كلمة واحدة أحيانًا أو كلمتان ... وحبذا لو كان بين السطر والسطر سبعة أو سبعتان ، ليقع من ذلك في الأذن ما يشبه الروى أو النغم .. كلا ... ليس هذا إلا الشعر الجديد الكاذب .. لا الشعر الحقيقي ... إن الشعر الجديد يعجبني شخصيًا أحيانًا نادرة وإني أرى أصحابه مجددين حقًا حتى وإن حطموا كل القيود القديمة ... ذلك لأنهم شعراء ... شعراء بالهبة على الرغم من كل شيء ... ولكنى أريد أن أحذر ... فإن مظهر السهولة التي يكتب بها أحيانًا تغرى كل إنسان أن يكون شاعرًا .. ولم أفطن إلى هذا الخطر

إلا يوم قال بعضهم بغير حيلة .. إن الغرض من هذه الطريقة الجديدة هو التحرر من قيود الوزن والقافية التي كان يفرضها الشعر القديم .. أى أنهم أرادوا اجتناب الصعوبة بإلغائها ... وإلغاء الصعوبات أمر مستحسن دائماً إلا في الفن ، لأن الفن صعب .. ويجب أن يكون صعباً دائماً ، حتى يكون فناً ، لأن الفنان هو الإنسان الذى يواجه الصعب ، ويحوله إلى سهل .. تلك هي معجزته .. وعندما يقال : إن الفن سحر ، أو هو نوع من السحر ، وقد كان كذلك في مطلع الأزمان ، وكان يقوم به السحرة والكهان ، كان تأثيره في الناس منبعثاً من أنه شيء معجز لا يستطيعه كل شخص ، ولكنه يلين ويسهل في يد الكاهن أو الساحر أو الفنان !...

أول شرط إذن هو أن يكون عسير المنال ، إلى أن يجيء الفنان فيخضعه لقدرته وموهبته ، ويُصَيِّرُهُ سهلاً بسيطاً سائغاً للناس ... إن الفن صخرة صلبة ، على الفنان أن يفجر منها الماء الزلال ... وليس الفن نهراً جارياً يغرف منه كل عابر سبيل بلا مجهود .. لا بد في الفن إذن من صعوبات وعوائق وقيود .. وشرط

الفنان أن يتتصر على الرغم منها ، لا أن يتتصر بإلغائها ... إن اللاعب الماهر هو الذى يفوز مع احترامه لشروط اللعب ، أما إذا بدأ بإلغاء الشروط أو بتخفيف وطأتها فقيم الفوز إذن ١؟ ...

أفهم أن يكون إلغاء الشروط أو القيود لأنها سخيقة ، لا لأنها عسيرة ، وفي هذه الحالة يجب أن توضع شروط جديدة للفن الجديد ، كأن يشترط فيه الموسيقى والصورة والقوة الدافقة الدافعة ، ولا حاجة بقافية بعد ذلك ... أما مجرد الإلغاء تيسيراً للفنان فهو مبدأ خطر على وجود الفن ذاته ... حقيقة أن الفن الجديد هو الذى يبدو سهلاً ، ولكنه كما يقال السهل الممتنع وليس السهل إطلاقاً .. هو السهل فى نظر الناس ، لا فى نظر الفنان .. هو الذى يكابد فيه الفنان ، ويعانى ، ويجاهد ، ليلغى بعد ذلك للناس شيئاً مستساغاً ، حتى ليخيل للناس جميعاً أنهم يستطيعون الإتيان بمثله دون مشقة ولا عناء ...

هذا هو السحر فى الفن .. هو الذى يخيل للناس أن الأمر فى متناول أيديهم ؛ وهو فى الحقيقة أبعد منا لا من النجوم ... إن الفن العظيم هو هذا : هو السهل للناس ، والصعب للفنان ...

الصدق أساس التجديد عند الشباب

روع ذات يوم بعض أدباء الشباب وأطلقوا وصف «الإرهاب» على حركة نقدية قام بها شباب آخر من الأدباء غمروا الصحف والكتب فجأة بدراسات حشوها بكلمات مثل «الأدب للحياة»، و «الأدب الوردى» و «أدب البورجوازية»، والسلبية والإيجابية والشكل والمضمون والعضوى وغير العضوى.. إلخ». إلى أن ظهرت فجأة أيضًا ترجمات لبعض النشرات والمجلات الأدبية، التى تصدر فى بعض الدول الأوروبية والآسيوية الشرقية، وإذا بالسرى يكشف، وإذا بأصل هذه الكلمات يتضح، فاطمأن الفريق الأول من الشباب وبدأ يمد رجليه ويتنفس الصعداء، واستخزى الفريق الثانى قليلاً... وكادت تفتر المعركة...

والسبب فى اطمئنان الفريق الأول هو اعتقاده السابق أن تلك الأحكام الأدبية صدرت حقًا عن موازين طبيعية، لا شك فى

أصالتها ومنبعها الطبيعي في أرضنا، فلما علم أخيراً أنها موازين مستوردة، وأنها مثار جدل في بلاد أخرى، بدأت تضعف في نظره قيمة تلك الدراسات!...

كما أن السبب في استخزاء الفريق الثانى راجع إلى أنه كان يخفى — بمهارة فائقة — مصدر موازينه ومصطلحاته، ليلقى في الروع أنها من اجتهاده الشخصى، موهماً أنها الموازين الطبيعية النهائية، التى يجب أن يقوم بها الأدب والفن اليوم فى بلادنا، بل والأمس أيضاً، بل كل أدب وفن ظهر على وجه البسيطة فى أى زمان ومكان، دون جدل أو مناقشة.. فلما تكشف الأمر، واتضح أن كل هذه المصطلحات والموازين قد ترجمت ونقلت عن آداب أخرى ، وتعبر عن شعوب ودول نبت فيها ذلك نبثاً طبيعياً، شعر المريق الناقد أن موقفه قد تحدد بما لا يرضى أطماعه، وأن الأدباء أخذوا ينظرون إليه على أنه مجرد مروج لمذهب لا أكثر ولا أقل!...

هذه على وجه التقريب هى النتيجة الختامية لمعركة أدبية شغلت أذهان الشباب فى الأعوام الأخيرة..

وإنه لما يؤسف له أن تنتهى المعركة أو تفتر على هذا الوضع،
فنحن فى حاجة إلى منشط فى مجال الآراء والأفكار الأدبية والفنية .
وإنى لأعتقد أن هذه المعركة كان من الممكن أن تنفع الأدب
والفن نفعاً قوياً مستمراً، لو أنها وضعت من البداية على أساس
آخر...

ما هو هذا الأساس؟...

هو أولاً الصدق... فما من بناء يبنى على الصدق إلا وكتب له
البقاء، فى الأدب والفن، وفى كل شىء... كل حركاتنا الأدبية
والفنية السابقة بنيت على الصدق، ولذلك عاشت، وكانت هى
دعامة نهضتنا الفكرية الحقيقية.. ومعنى الصدق فى تلك الحركات
أنها لم تكتم شيئاً، ولم توهم أحداً.. بل قالت بكل بساطة: نحن فى
حاجة إلى أفكار الغرب، لإضافة ما لم يوجد فى تراثنا وسنقل ما
نحتاج إليه فى تجديدنا الأدبى والفنى.

وتم هذا النقل والترجمة فى وضوح النهار، كما حدث فى كل أمة
وعصر، وكل أدب غير ناغما وازدهر ودخله هواء جديد.. لأن كل
تجديد فى فكر ككل تجديد فى هواء غرفة، يحتاج إلى فتح النوافذ..

بهذا تفادت الحركات السابقة ذلك الاستخزاء والخجل ورد الفعل، الذى يحدث عادة عند اكتشاف حقيقة مخيفة مكتومة.. وما من ريب أن حركة هذا الفريق من الشباب كانت تدعو إلى الاحترام وكانت تتخذ مظهر الجدية والدوام لو أنهم قالوا بكل بساطة: «نحن فى حاجة إلى فتح النافذة الشرقية كما فتحت النافذة الغربية»... وقاموا بالفعل ينقلون نقلاً أميناً ويترجمون ترجمة دقيقة عيون الأدب والنقد من البلاد الشرقية، دون التواء أو تزيف أو إيهام..

ذلك أنه ما من عاقل ينكر هذه الحقيقة: وهى أن تجديد الحجرات والنهضات يحتاج إلى فتح النوافذ المغلقة فى كل الاتجاهات.. وقد حدث مثل هذا أيام النهضة الفكرية الإسلامية فى عصر المأمون يوم نشطت حركات النقل والترجمة، لآثار الفرس والهند واليونان والروم وغيرهم من مختلف الحضارات... قد يقال إنهم ما كانوا يملكون هذا الصديق فى كل الأوقات.. هذا صحيح... ولذلك هم معذورون... ولكن... ولكن العذر لا يعفيهم من مسئوليتهم عن النتيجة... نحن

نعذرهم .. ولكننا نعذر أيضا أولئك الذين استخفوا بهم بعد أن انكشف القناع...

هذا أولا كما ذكرت، ولكن هناك سببًا ثانيًا للأساس الخائر، ولعله الأسرع في هدم الثقة، ذلك هو سوء التطبيق... إذا ما كاد هذا الفريق من الشباب يقع على بعض نماذج في الأدب والفن والدراسات من تلك البلاد الشرقية وغيرها، حتى استخفه الزهو وانطلق — في رعونة وعجلة — يؤلف وينقد، ويخرج في الشعر والقصة والبحوث نتاجا سريعا أكثره مفتعل، يحاول أن يطبق فيه الأفكار المستوردة على مجتمع مختلف عن ذلك المجتمع الذي جاءت منه تلك الأفكار وعلى أدب لا يماثل في تراثه وتاريخه ومراحل تطوره آداب تلك البلاد الأخرى...

كل ذلك أفقد تلك الحركة التي كان يصح أن تكون حركة تجديد بالفعل، بعض مظاهر الجدية.. وبدلا من أن تنتفع نهضتنا الفكرية والأدبية والفنية بمزايا النافذة الشرقية، كما انتفعت من قبل بمزايا النافذة الغربية، إذا بالأمر يكاد أن ينقلب إلى مهزلة وإذا بالثقة تنهار شيئا فشيئا، وإذا بابتسامات السخرية أو الارتياب تعلو

الشفاه قبل أن تمتد الأيدي إلى كثير من هذه المؤلفات التي تظهر اليوم، في الشعر، أو القصة، أو النقد، لبعض هؤلاء الداعين إلى هذا النوع من التجديد من أدباء الشباب!...

إذن... لقد عمل هذا الفريق، من حيث لا يريد ولا يتوقع، الإضرار بحركته.. وليت الأمر يقف عند هذا الحد.. إذ لو أخذ الأمر على أنه سوء تطبيق لانهصر الضرر في حدوده الضيقة، ولكن بعد انكشاف القناع أصبح هذا الفريق في نظر المثقفين ممثلاً أو مستوحياً تلك الآداب الشرقية.. فما ذنب تلك الآداب ومعظمها من القمم والشواخ، أن تُجرّ هي الأخرى في غبار السخرية وعدم الثقة؟..

ما الذى ينقذ الموقف الآن؟...

أعتقد أنه ما من منقذ غير الشروع في حركة تجديد حقيقية، تدعو إلى الاحترام، وتقوم على العمل المضنى غير المتعجل، وعلى الصبر الطويل والدرس العميق.. يجب أن ندرس مجتمعنا دراسة (ثورة الشباب)

جدية، وأن ندرس أدبنا وفننا دراسة دقيقة موضوعية، تحيط
بمراحل تطوره المتصلة بتطور المجتمع، وأن يكون أدبنا الجديد
والمتجدد نتيجة طبيعية للتطور الفكري والاجتماعي، وأن يكون
رائدنا في كل ذلك الصدق والصراحة وسعة الأفق وحسن
التطبيق!...

* * *

الشباب والشيطان

وقع ذلك الحديث الذى أرويه فى ليلة من ليالى الشتاء .. فى منتصف الليل .. فى تلك الساعة الرهيبة التى أجمعت الأساطير على أن فيها يحدث كل جلل من الأمر .. وكنت جالساً إلى مكتبى أقرأ تحت نور ضئيل ، وقد تكدست أمامى كتب يعلوها التراب ، وكان الكتاب المفتوح بين يدى قصة « فوست » ، وكنت قد بلغت منها تلك الصفحات التى يجلس فيها العالم الشيخ ، بين كتبه فى إحدى الليالى ، وقد تهدل شعره الأبيض على منكبيه وهو قانط من العلم ، راغب عن الحياة التى لم تمنحه من المعرفة ما كان يحسب أن فى مقدورها أن تعطيه البشر ... وقد جلس يحصى على نفسه تلك الثمانين من الأعوام التى عاشها .. ماذا صنع فيها ؟ .. وماذا ربح ؟ ... إنه لم يعرف الشباب قط ، ولم يدخل قلبه ذلك الفرح بالحياة قط ، ولم تدرك نفسه معنى الطمأنينة والابتسام ، حتى فى

ذلك الزمن الجميل يوم كان خلّاته يقولون : « الحب » ، وكان هو يقول : « المعرفة » ! ...

ولقد جدّ حقيقة في سبيلها ، وأحاط بكل ما سمح لعقل إنسان أن يحيط به : لقد أعطى العلم كل حياته ؛ والآن وقد أوشكت تلك الحياة أن تذهب ... الآن وهو في طريق الأوبة إلى ذلك المكان المجهول الذي جاء منه — لو أن في الإمكان أن نسميه مكاناً — ألا تراه عائداً إليه بصفقة المغبون ؟! ...

أما العلم فإنه الآن يسخر منه بقدر ما يسخر هو من نفسه ؛ إذ أضاع من أجله حياة كاملة ، فيها أشياء كثيرة غير العلم . إنه خارج من الحياة ولم يحمل زهرة ، ولم يستنشق عبيراً من ذلك البستان الفاتن بأشجاره وأنهاره ووروده وغزلانه ... إنه لم يملأ قلبه بشيء ، وإنما قد ملأ رأسه بكلام كثير سوف يأكله الدود — كما قال « هايني » — مع ما سوف يأكل من لحم تلك الجمجمة الكبيرة ! ...

كل هذه الخواطر كانت تدور في خلد العالم « فوست » وهو جالس أمام كتاب في علم الفلك تحت نور ضعيل ، في حجرة من

حجرات القرون الوسطى ، ولم يكن حوله غير كتب مقدسة
يعلوها التراب وغير سكون مطبق مخيف ، ولم يكن بالمكان
أحد ..

ومع ذلك سرت في جسم العالم المتهدم رعدة ، إذ شعر أنه ليس
وحده في المكان ، فتردد قليلا ، ثم استدار بعينيه المنطفئتين يبحث
في أركان الحجر ، فلم يجد أحدا غير ظلال نور المصباح ،
تتلاحق فوق الحائط القائم كالأشباح اللاعبة ، فتملكه خوف لم
يدر سببه .. ووضع وجهه في كتابه يحاول القراءة ويلتمس فيها
هدوء الخاطر ، وإذا صوت هامس يلقي في أذنه :

— « فوست » ! « فوست » ! لقد سمعت ما دار في
نفسك !

فجمد الدم في عروق الشيخ ، واستطرد الصوت :

— لا تخف ! .. ألا تعرف من أنا ؟ ..

لم يجر العالم جوابا ، ولم يجرؤ على الحركة ، وظل في جلسته
كتمثال من الشمع ! ...
فاستأنف الصوت :

— أنا الذى يستطيع أن يمنحك ما تطلب !... —

هنا دبت القوة فى نفس الشيخ ، وزال عنه الخوف والتفت إلى مكان الصوت فأبصر وجهًا غريب السحنة ، لا يشبه وجوه البشر ، يتسم له ابتسامة عجيبة . ولم يجد لهذا الوجه جسمًا ، فقد كان محوطا بالظلام . وتمالك الشيخ وتحامل ، ثم قال فى صوت واجف :

— من أنت ... —

فنظر إليه الوجه نظرة ثانية وأجاب :

— وهل يعينك كثيرًا أن تعرف من أنا ؟... —

— من أنت ؟... . —

— دائمًا تريد أن تعرف ... دائمًا حب المعرفة !... أيها

الأحمق الفانى !... أما يكفيك أنى أعطيك ما تطلب ؟... —

كل ما تطلب ..

— من أنت ؟.. —

— الشيطان ! —

دهش العالم ونظر إلى الوجه من جديد ، فألفاه يتسم تلك

الابتسامة التي لا تتغير ، فردد في بطاء ، وهمس كأنما يخاطب نفسه :

— الشيطان !!... —

ودنا الوجه قليلا من الشيخ ، وقال في نبرة لطيفة :

— أتخافني ؟ .. لا تخف ... انتظر ...

وفي الحال أبصر الشيخ ذراعين وقدمين وبقايا جسم آدمي تأتي طائرة طائعة من أنحاء الحجرة المختلفة ، وتلتصق بالوجه حتى صار إنسانا ، وتغير الوجه فصار كوجوه البشر ، ومد ذلك الإنسان يده إلى كرسي بجانب الشيخ ، وجلس وهو يقول كالمخاطب لنفسه :

— « هأنذا إنسان مثلك ، ينبغي أن أكون إنسانا مثلك حتى

تفهمني ، إنك أيها الإنسان لا ترى إلا من كان على صورتك !... :
إني في خدمتك !... »

هدأ روع العالم قليلا ، وتذكر ما كان فيه منذ لحظة من ضيق

بنفسه وتبرم بحياته ؛ فاهتز في مقعده وصاح :

— أيها الشيطان !... أعطني ... أعطني ...

— اطلب ما شئت ! ...

— الشباب ! ...

لفظها الشيخ الفاني من أعماق قلبه المتداعي ...

فأجاب الشيطان في تودة :

— لك ما طلبت .. ولكن ماذا تعطيني أنت في مقابل هذا ؟ ..

إن الشيطان لا يعطي لوجه الله ! ...

فقال الشيخ من فوره :

— أعطيك العلم .. كل ذلك العلم الذي اكتنته مدى ثمانين

عاماً ؟ ..

فقهقه الشيطان :

— لا حاجة بي إلى هذه البضاعة ... علمك لا ينفعني ! .. إلى

أريد منك شيئاً آخر ! ...

— ماذا ؟ ...

— نفسك ! ...

فلم يتردد الشيخ :

— هي لك ..

عندئذ أسرع الشيطان ومد يده فى الهواء ، والتقط قرطاسا نشره تحت المصباح ، وتناول ذراع الشيخ ، ففزع الشيخ :
— ماذا تصنع ؟ ...

— لا تفزع من شىء ! ... أريد قليلا من دمك تكتب لى به صكًا على هذا القرطاس ! ... هو عهد بينى وبينك : « أعطيك الشباب ، وتعطينى نفسك ! ... » .

فأذعن الشيخ وكتب العهد بدمه ، وتناول الشيطان العهد المكتوب ، ورفع يده فى الهواء ، وعاد فوضعها على جسم الشيخ ، فإذا شيخوخته تزول عنه ؛ كما تزول الأوراق الذابلة عن الشجرة الفتية ، وإذا العالم الهرم قد انقلب فتى فى العشرين ، جميل الطلعة بسام المحيا ، مفعم النفس بالسرور ، متوثب القلب للحب ! ...

لم أكد أنتهى إلى هذا الموقف من قصة « فوست » حتى طرحت الكتاب وهمت فى وادى التأملات ! ... كان الذى يملك على لى ذلك الوقت ؛ هو حب « المعرفة » ... كانت كل

أحلامي أن أفتح كل صباح نافذة تطل على عالم مجهول من عوالم
هذا الكون السابح في بحار الأسرار ... كان من يكشف لعيني
المستطلعة جديدًا هو الخلق عندي أن أعطيه ما شاء من نفسى ...
في تلك الليلة صحت في الحجرة :

— أيها الشيطان !.. أيها الشيطان !.. ابرز إليّ ، وخذ منى ما
تشاء ، وأعطني ما أريد !...!

ولم يبرز إليّ بالطبع أحد ، ولم تنشق الجدران ، ولم تكن
الصيحة التى لفظتها إلا صوتًا مدويًا داخل نفسى ، وهو فى الحقيقة
همسة لم يبلغ صداها باب الحجرة ؛ على أننى لم ألبث أن رحت فى
شبه إغفاءة ، نصب فيها الخيال مسرحًا ، وإذا الشيطان فى ملابس
« مفستو » الحمراء ويده على مقبض سيفه ، والابتسامة الخبيثة
الساخرة على شفثيه ، وهو ينظر إليّ قائلاً :

— أنا ديتنى ؟..!

فهمست :

— نعم !...!

— ماذا تريد منى ؟...!

— المعرفة! ...

فضحك ضحكة عالية طويلة ، اهتزت لها الريشة القائمة على
قرنه ، وقال :

— هل تدرك مدى هذه الكلمة ؟ ...

فقطنت إلى مراده وصحت مستدركا :

— نعم !.. نعم! ... أدرك أنك أنت كذلك لا تحيط علما

بمدى هذه الكلمة .. إني ما أردت منك المستحيل ، وما قصدت
أن تعطيني « المعرفة » ذاتها .. إنما أردت أن تمنحني « حب
المعرفة » .. أريد أن تمنحني تلك النفس التي تعيش للمعرفة ..
أريد أن تعطيني ما أخذت من « فوست » ... أعطني « نفس
فوست » التي أخذتها منه ... أريد أن تكون لي نفس « فوست »
أو نفس « جوته » !..

— وماذا تعطيني أنت في مقابل هذا ؟ ...

— كل ما تطلب ...

— الشباب ! ...

— هو لك !..

قلتها في غير تردد ، فنظر إلى « مفسو » نظرة طويلة .. نظرة العجب أو الإشفاق — لو أن الشيطان يشفق أحيانا — أو نظرة التاجر الماكر لصفقة خاسرة وقعت من غر قاصر .. وقال :

— سوف تندم !..

— أبداً !...!

— أفهم أن ييذل كل غال في سبيل « الشباب » أما أن « الشباب » هو الذى ييذل .. اسمع نصحى أيها الفتى .. إني لم أعتد إخلاص النصيح لأحد ... ولكنى أقول لك :

لا شيء في الوجود يعوض الشباب !...!

— المعرفة ... المعرفة ... المعرفة !...!

فضحك الشيطان ضحكة صغيرة هازئة ، وقال كالمخاطب لنفسه :

— كان « فوست » يقول هذا في صباه !...!

فقلت في تحمس أعمى :

— حب المعرفة هو شباب العقل .. هو الشباب الأبدى .. هو السمو للإنسانى الذى سجدت له الملائكة إلا أنت أيها المتطاول

على عرش فكرنا النوراني !...

— عرش فكركم النوراني ؟!... ماذا أقول لهذا الفتى ؟..

— إني أعرفك وأبغضك ... إنك هنا على هذه الأرض لا عمل

لك إلا أن تطفئ هذه المصابيح العظيمة التي تزين همامتنا ، إن في

يدك عصا طويلة كتلك التي كان يحملها « عفاريت الليل »

يطفئون بها في مطلع الفجر مصابيح الغاز في الطرقات !..

— ما أسخف مصابيح الغاز !...

— نعم ، ولقد ذهب عهدا بظهور الكهرباء ، واختفت

معها « عفاريت الليل » بعصيا .. أنت أيضا قد آن لك اليوم أن

تختفي بسيفك وريشتك ، فما من أحد يرضى اليوم أن يبيع

« مصباحه » من أجل شيء ...

— لقد باع « فوست » مصباحه من أجل فتاة !..

— كان ذلك مصباحا من الغاز ...

— من الغاز أو الكهرباء ، النور هو دائما النور !...

— يا عدو النور !... أعطني النور وخذ مني ما تشاء ...

فقال الشيطان :

O.K. —

وخلع قلنسوته ومسح بها الأرض بين يدي إغراقاً في التحية ،
على طريقة فرسان « إسكندر دوماس » ، وتحرك للانصراف ،
فاستوقفته :

— ألا نكتب عقدًا ؟ ..

— لا ضرورة منك للعقود والعهود .. إني واثق بشرفك ! ..

— ولكنني أنا .. معذرة .. إني لا أثق بشرفك ...

— جربني هذه المرة ..

وانحنى لى انحناءة كبيرة ثم اختفى ! ...

* * *

مضى على تلك الليلة عشرات الأعوام التهمت فيها الكتب
التهاماً ، وأحطت بمختلف العلوم والفنون علماً ، وعشت مع
الفلاسفة والأدباء والموسيقيين والمصورين ، وأحبت فيها
« المعرفة » حباً كالجنون .. فلم أكن أطيع صبراً على الجهل بفرع
من فروعها ، وكنت أحياناً لا أملك من النقود غير الضروري
لأكل بقية الشهر وأصادف في واجهة الحانوت كتاباً أو كتابين ،

فما أحجهم ، وأدفع فيهما ما معى ، وأتبلغ طول أيامى بمرق الأرز
ونقيع الشاى ... وذهب بى الجنون إلى حد الرغبة فى الاطلاع على
ما لا لزوم لاطلاع أديب عليه ، فنظرت فى كتب الفلك ، والعلوم
الروحانية ، والرياضيات العليا ...

وكانت أيام راحتى تنفق فى هياكل الفن ومتاحف التاريخ
الطبيعى ودور الكتب والآثار ...

وكانت لى جلسات طويلة فى ركن قهوة صغيرة منفردة آوى
إليها وحيثا أفكر ست أو سبع ساعات متوالية فى مسائل عويصة
من مسائل الفلسفة المطلقة ، أو قضايا الفكر ، أو مشاكل العالم
السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولكم هدمت فى رأسى
مدنيات وأقمت بد لها حضارات خيالية ذات نظم مثالية ، على نحو
ما فعل « أفلاطون » و « توماس مور » ولكم ألحدت ثم آمنت ،
وضللت ثم اهتديت ، ولكم كتبت ومزقت ، ولكم جهدت فى
سبيل تلك اللذة العليا التى حسبتها غاية الإنسان التى ليست بعدها
غاية ، ولقد همت بالنور وعشت حول النور حتى أحسست أن
جسمى يرق ، وأن لنفسى أجنحة كأجنحة الفراش .. ولقد

صرت كالهواء ، أو كالملائكة ، أسهر سابعًا في أجواء الفكر ،
فوق كتاب مفتوح ، تحت مصباح مضى ، حتى إذا جاء الصباح
رقدت وهربت من الناس والضجيج ... إلى أن نهتني آخر الأمر
خادم عجوز قائلة :

— حياتك هذه ليست حياة ... انظر إلى وجهك في
المرآة ! ...

فنظرت مليًا في مرآة خزانة الملابس فارتعت :

ما كل هذه التجاعيد حول عيني ؟ ... وما هذا الظهر الذى
تقوس وانحنى ؟ ... وما هذا النحول والشحوب ؟ .. أترانى قد
نسيت جسمى طول هذه الأعوام ؟ .. أم تراه الشيطان قد
تقاضانى الثمن دون أن أعلم ؟ ... وهالنى منظرى وأنا أضغ
أصبعى على تلك الخطوط الخفيفة على صفحة وجهى ؛ كأنها صك
بزوال زهرة الحياة إلى الأبد ، فما تمالكى أن صحت :
— الشباب ! ... الشباب ! ... لقد أخذ الشباب ! ...

البعث على يد الشباب

إن الشباب الخلاق هو الذى يبعث ماضيه حياً .. ويمد أسلافه
بدم جديد يصلح لإحيائهم فى زمن جديد ... هكذا ترمز تلك
الفقرات من كتاب الموتى عند المصريين القدماء » :
حوريس : انهض ، انهض يا أوزوريس !
أنا ولدك حوريس ...
جئت أعيد إليك الحياة ،
جئت أجمع عظامك ، وأربط عضلاتك ،
وأصل أعضائك ...
أنا خوريس الذى تكون أباه ...
حوريس يعطيك عيوننا لترى
وآذاننا لتسمع وأقدامنا لتسير
وسواعدنا لتعمل ...

ها هي ذى أعضائك صحيحة

وجسدك ينمو ...

ودماؤك تدب في عروقك ...

إن لك دائماً قلبك الحقيقي ،

قلبك الماضي !

أوزوريس الميت : إني حي ، إني حي ! ...

« كتاب الموتى »

و « حوريس » ليس إلا « الشباب » ، يعيد الحياة إلى ماضيه الميت ... نعم هو « الشباب » الذى يكون أباه الوطن ... وقد أعطاه بالفعل عيوئاً يرى بها غابره العظيم فى حرته ، وحاضره الذليل فى قيود الغرباء ، وآذانا يسمع بها ضحكات السخرية من أفواه الجبناء الذين جاءوا يستغلون رقاده ويستلبون خيراته ؛ كما أعطاه أقداماً يسير بها كى يثبت لهم أنه حي ، وسواعد يعمل بها على تشييد الصرح المهدوم ! ... إن أعضاء الوطن صحيحة لم ينقص منها عضو ؛ وها هو ذا جسده يتحرك وينمو ، والدم يجرى فى شرايينه ، والشباب على رأسه يصيح :

« إن لك دائماً قلبك الحقيقي ... قلبك الماضي !... » ويخيل
إلى : أنى أسمع الوطن من كل جانب يلبي النداء ويحيب الشباب
الأبناء : « إني حي ، إني حي !... » إني دائماً أومن بأن مصر لا
يمكن أن تموت ؛ لأن مصر منذ الأزل ظلت تعمل وتكد آلاف
السنين لهدف واحد : مكافحة الموت .. ولقد فازت مصر
ببغيتها ، وكلما ظن الموت أنه انتصر ، قام « حوريس » من أبنائها
يصيح : « انهض ، انهض أيها الوطن !... إن لك قلبك ... قلبك
الحقيقي دائماً ... قلبك الماضي ... » وإذا الموت يتراجع أمام
صوت مدو من أعماق الوطن :

« إني حي ... إني حي !... »

* * *

قضية القرن الحادى والعشرين

زارنى منذ عهد ليس بالبعيد صحفى أمريكى قال إنه يطوف
ببلاد كثيرة يتحرى عن سبب كراهية العالم لأمريكا .. وتأملته
ملئاً وهو يخرج من جيبه دفترًا صغيرًا ليدون فيه إجابتى ... كان
شابًا دون الأربعين طويل القامة عريض المنكبين ، كأبطال السينما
الأمريكية ... وكنت أظن أن مثل هؤلاء الرجال لا يوجدون إلا
فى هذه الأيام ... ولكنى ها أنذا أراهم بلحمهم وشحمهم بين
رجال الصحافة ... رجال ينبتون فى أرض جديدة ، كما تنبت
عندنا سيقان الأذرة الفارعة « زرع بدرى » فى الأرض
الخصيبة ... لم أجعله ينتظر كثيرًا حتى أفكر ، فالإجابة لم تكن
محتاجة إلى تفكير ، وحرب فيتنام ببشاعتها ماثلة للأذهان .. قلت
له على الفور إن العالم يكره أمريكا لأنه يراها المسئولة اليوم عن
إشعال الحروب ... حيث ذهببت فى آسيا وإفريقيا ، فى الشرق

الأقصى والشرق الأوسط تجد علبة الثقاب في أصابع أمريكا تلعب بها أو تحمل بها مشكلاتها تاركة الدخان يلبد سماء السلام ...
فدون في دفتره ذلك ثم رفع رأسه قائلاً :
— هل تعتقد أن في إمكان أمريكا حل مشكلاتها بغير هذه الحروب ؟

قلت له باقتناع واضح :
— هذه رسالتها ...
وأدهشته مثالية الكلمة ووقعت من نفسه موقعاً حسناً ..
فدونها بسرعة .. ثم التفت إليّ يقول :
— هذا شيء رائع ... ولكن ... من الناحية العملية ...
قلت له :

— إنني أتكلم من الناحية العملية ... إن رسالة السلام في يد الدولة القوية هي خير حل عملي لكل المشكلات ، وإذا أرادت دولة قوية أن تكون محبوبة وأن تسيطر حقاً على قلوب العالم فلتترك علبة الثقاب وتطلق حمامة السلام ... هذه الحمامة ذات الجناحين جناح اسمه العدل وجناح اسمه الحرية ...

— شكرًا! ...

قالها وهو يطوى دفتره ويضعه فى جيبه وينهض مودعًا ...
وانصرف ... وخلص الأمر انتهى عند هذا الحد .. ومضى يومان
وفى اليوم الثالث عاد ليقول إنه جعل يفكر طويلا فى رسالة الدولة
القوية الكبيرة فى عصرنا الحاضر ومسئوليتها أمام البشرية .. وإنه
يريد أن يأخذ الموضوع مأخذ الجد ، ويطلب مساعدتى فى
ذلك ... فقلت له :

— مساعدتك ؟! فى ماذا ؟ ...

— فى تحقيق هذه الرسالة ...

ولما رأى دهشتى سارع يقول :

— طبعًا الموضوع ليس بهذه السهولة ... ودولة كبيرة مثل
أمريكا ليست شخصًا واحدًا يمكن التفاهم معه ... إنها تركيب
متناقض ومعقد غاية التعقيد ... هل زرت أمريكا ؟
قلت له :

— لا ... ولا أريد ...

— بل يجب أن تريد .. وخاصة الآن ... اسمع .. ما قولك لو

اصطحبتك إلى هناك ؟... هذا لن يكلفك شيئاً .. سأكون أنا المتكفل بك فى الذهاب والإياب ... من الباب للباب ... ولا تتعلل بشيخوختك وصحتك كما قيل لى فسأوفر لك كل أسباب الراحة ... ولى قريب هو أحد مستشارى الرئيس الأمريكى .. وفى إمكانه أن يدبر لك زيارة للبيت الأبيض لتناقش بنفسك الرئيس فى هذا الموضوع الهام ...

— ابعد عنى !... أرجوك !...

قلتها بلطف وابتسام ولكن فى غمرة حاسمة ... فلم يأس وأصر وقال محاولاً إقناعى :

— هذه رسالتك أيضاً ... أنت الذى تحدث عن الرسائل ... إنها ليست زيارة للسياحة ولا للنزهة ... العالم القلق اليوم فى حاجة إلى مفكرين مؤمنين ... فإذا كنت مؤمناً حقاً برسالة ما فابدل من أجلها بعض الجهد والفرصة مواتية ... هيا أعطنى جواز سفرك وأنا أعد لك كل شىء وأحجز لك معى مكاناً فى الطائرة ...

فلم أتمالك من الضحك :

— بهذه السرعة ؟! هل أنا حقيرة تحمل هكذا ؟!

— ولماذا الإبطاء ؟

— أتخشى على العالم المريض أن يموت قبل وصولنا ؟! ثم من

أكون أنا في هذا كله ؟!.... من يسمعك يظن أنى طبيب يطير
بالدواء !...!

— كل شخص مؤمن بفكرة صالحة هو طبيب إلى حد ما ...

هيا بنا لا تضيع الوقت إنك لن تخسر شيئاً بهذه الرحلة .. وقد
تستطيع عينك الجديدة أن تبصر في لحظة واحدة كل مستقبل
مجتمعنا ...

أطرقت قليلاً أفكر ثم قلت :

— لن أستطيع المكث هناك أكثر من أسبوع واحد ..

— وهذا يكفي ...

— ولا داعي لزيارة البيت الأبيض .. أنا لا أقابل الحكام ..

— لك ما تريد ...

وبسرعة وجدت نفسي مدفوعاً دفْعاً إلى هذه الرحلة .. وجهز

كل شيء وتم في طرفة عين ... وما شعرت إلا وأنا في المطار ... ثم

وأنا في الجور ... والصحفى اللعين إلى جوارى يتسم وأنا غير مصدق لما أنا فيه .. كيف حدث كل ذلك هكذا؟! ومررت المضيفة ببعض الحلوى فاعتذرت ... وهنا تذكرت أن السكريات وبعض أطعمة الطائرات لن تناسب صحتى ... ولكن فات الأوان ولن يجدى التفكير فى ذلك . ومد صاحبى الصحفى يده إلى قطعة حلوى وهو يسدد نظرة متأملة إلى وجه المضيفة الحسنة ويقول :

— عيناها جميلتان! ...

ولم ألتفت إليه ... وتظاهرت بالنوم ... فقد ساء مزاجى فجأة وغمرتنى كآبة لانتراعى بهذه الطريقة من بلدى وبيتى وعادائق لأجد نفسى فى رحلة مجنونة إلى هدف غير واضح المعالم .. كيف استطاع إقناعى؟! ليست هذه أول مرة أدعى فيها لزيارة بلاده وغيرها من البلاد .. كنت أكسل ولا أتحمس .. فما الذى حدث هذه المرة؟! أترانى وقعت فى شرك كلمة قلتها : رسالتنا؟! الآن أنا وحدى أحادث نفسى ولا أحد يسمع صوتى الداخلى : هل كنت جاذبا وأنا ألفظ هذه الكلمات الكبيرة؟! ...

بالطبع أنا جاد ولكن ... ليس إلى الحد الذى أتجشم من أجله المتاعب! ... فى مثل سنى ... يا للخبجل! .. الحمد لله أن أحدًا لا يسمعنى ... ومع ذلك أعاتب نفسى وقد قمت بالفعل ألبى النداء .. لكن أى نداء؟! ومن أدرانى أنها ليست أكثر من زيارة صحفية كأى زيارة صحفية أخرى مما يدعى إليها الصحفيون والكتاب؟! .. ولعل هذا الصحفى الشاب سبق أن دعا غيرى بمثل هذه الأساليب؟! كل بالأسلوب الذى يناسبه ويغريه؟! إذا كان الأمر كذلك وقد وقع الفأس فى الرأس فلن أكتب حرفاً عن هذه الزيارة ولا عن هذه البلاد ... صحفى شاب يضحك من كاتب فى السبعين ويجرجه معه من طائرة إلى طائرة! ...

وعندما وصلت فى تفكيرى الداخلى إلى هذا الحد بدت لى الرحلة جحيماً والصحفى الجالس بجوارى شيطاناً .. فلم أطق النظر إليه وزاد همى وغمى وتمنيت لو عدت أدراجى ودخلت بيتى وارتميت على فراشى المريح .. ولكن الطائرة فى الجو ولم يبق لى غير الندم والترنم بالمثل : « الجلق على من يسمع كلام العيال » ..

لبثت طوال الرحلة قليل الكلام مع الصحفي .. وكلما لحت منه رغبة في الحديث تظاهرت بالنوم . فكان هو يلجأ إلى القراءة أحياناً ويغازل المضيفات أحياناً أخرى .. إلى أن اقتربت الرحلة من نهايتها فهتف بى قائلاً :

— نحن الآن نظير فوق تمثال الحرية .. فهضت فى الحال أشرئب بعنقى لأنظر من النافذة ... ولكن الوقت كان ليلاً فلم أبصر شيئاً ... ورجعت بذاكرتى إلى ما قرأته عن هذا التمثال الضخم .. لقد كان هدية من فرنسا إلى الولايات المتحدة .. صنعه الممثل الفرنسى « بارتولدى » وأسماه « الحرية تضىء العالم » .. ووضعت الولايات المتحدة فى ميناء نيويورك عام ١٨٨٦ ... نعم لا شك أن حسن الظن بأمريكا فى ذلك التاريخ كان كبيراً .. وكان العالم يتوقع لها أن تضىء الحرية منها على العالم حقاً .. وهبطت الطائرة أخيراً واستقرت على أرض المطار .. ثم لم يمض قليل حتى كنت فى الفندق الذى اختاره الصحفي لنزولى بمدينة نيويورك .. كنت متعباً فأثرت المضى إلى حجرى توى وطلبت فيها عشاء خفيفاً وآويت إلى فراشى ... ونهضت مبكراً

في الصباح وطلبت فنجائاً من الشاي وارتديت ثيابي ونزلت إلى
بهو الفندق أنتظر صاحبي الصحفي لنضع برنامج الزيارة ونبدأ
يومنا الأول .. وإذا نظري يقع على صحف الصباح في أيدي بعض
النزلاء وبها مانشيت كبير : « تمثال الحرية » !. وخيل إليّ من
تهامس وحديث من حولي أنني أسمع كلمة « اختفاء أو خطف » أو
ما يشبه ذلك .. فقلت في نفسي هذا مستحيل ؛ فتمثال الحرية
ليس إبرة حتى يختفي ، وليس لعبة حتى تختطف ، لا بد في الأمر
خطأ .. ففهمي للإنجليزية ولا سيما في أمريكا مما يحتمل معه سوء
التفسير .. ولم يلبث صاحبنا الصحفي أن ظهر وفي يده إحدى
صحف الصباح وهو منهمك في القراءة .. فما أن أبصرني حتى
أقبل عليّ وحياني وبادرني بقوله وهو يشير إلى الصحيفة :
تصور .. تمثال الحرية ...

— ماذا ؟ ... اختفى ؟! ...

قلتها بلهجة أدهشته ... ولكنه استطرد يقول :

— يظهر أنها قضية الموسم ! ... لقد تغيت عن أمريكا في

تجوالي حول العالم نحو ثلاثة شهور لأعود فأجد هذه القضية

الغريبة ! ...

— قل لى فى كلمتين ما هو الموضوع ؟؟ ...

— خذ اقرأ بنفسك !

فتناولت الجريدة من يده وتصفحت العناوين لأعرف بسرعة ما هى الحكاية ؟ كان بالصفحة أربع صور فتوغرافية كبيرة لرجلين وامرأتين فى سن الثلاثين ، أو أقل قليلا .. تحيط بهم صورة كبيرة لتمثال الحرية ... ثم عنوان بينط كبير : « مساجلة عنيفة بين المدعى العام وهيئة الدفاع حول وصف الجريمة » .. ثم عنوان آخر : « اليوم تصدر المحكمة قرارها بتحديد التهمة » .. ثم عنوان أخير : « هل المتهمون مجرمون أو مصلحون ؟ » ... ولم أستمر فى القراءة فقد شعرت بشيء يجذبنى إلى هذه القضية ... فقلت لصاحبى على الفور :

— هل نستطيع أن نشاهد هذه المحاكمة ؟

— إذا أردت ... وما دمْتُ معك فكل شيء سهل ...

— هيا بنا إذن ! ...

وانطلقنا إلى دار المحكمة ... ولم يكن صاحبى الصحفى فى حاجة إلى إظهار بطاقة شخصية فقد كان معروفا هناك ... وسرعان ما فتحت لنا الأبواب ... ووجدنا أنفسنا داخل قاعة الجلسة .. لم يكن القاضى قد ظهر ، فمقعده لم يزل خاليا .. ولكن المحلفين كانوا فى أماكنهم .. وكذلك الجمهور فى مقاعده .. وقد أجلسونا فى صف من صفوفه ... ونظرت إلى مكان المتهمين فوجدت الأربعة الذين طالعت صورهم فى الصحف ، يتحدث إليهم رجلان أدركت أنهما من هيئة الدفاع .. ولم تمض لحظة حتى دخل القاضى إلى القاعة واتخذ مقعده بجوار العلم الأمريكى وافتتح الجلسة بتلخيص وجيز لما حدث فى الجلسة السابقة من خلاف حول وصف التهمة وما ينتظر لهذا الخلاف من استمرار .. وهو يقترح توفيراً للوقت أن تشرع المحكمة فى سماع الشهود وعرض وقائع الدعوى وتقديم أدلة الإثبات والنفى ، ومن بلورة كل ذلك يمكن فى النهاية تحديد التهمة .. وهنا نهض أحد المحامين يقول :

— فى هذه الحالة يكون المتهمون محتجزين فى غير تهمة ..

ولذلك أطالب بالإفراج عنهم فورًا إلى حين بلورة وقائع الأدلة
واستخراج التهمة منها وتحديد وصفها ..

فقام المدعى العام يقول :

— أرفض الإفراج عنهم ... لأنهم ضبطوا متلبسين ..

فقال المحامي :

— متلبسين بماذا ؟

— بالتخريب ...

— هل هناك دليل على أن نية التخريب قامت في أذهانهم ؟

— وما الذى قام في أذهانهم ؟

— نقل التمثال من مكانه .. كما جاء في أقوالهم ..

— إذن هى سرقة ...

بـ لا يمكن تطبيق وصف السرقة لأن نية الامتلاك غير

قائمة ..

— وما هو المكان الذى أرادوا نقل التمثال إليه ؟

— مكان يلائم معناه ... معنى التمثال هو الحرية تضىء العالم ..

وهم يريدون نقله إلى مكان تضىء فيه الحرية ..

وهنا تدخل القاضى قائلاً :

— بهذه الطريقة سنظل فى مساجلات لن تنتهى .. وأنا مضطر
إلى حسم الخلاف واعتبار التهمة جريمة تخريب لممتلكات
الدولة .. وعلى الدفاع أن يثبت وجهة نظره المخالفة ... هذا
قرارى ... ولنبدأ الآن فى سماع شهود الإثبات ...
وابتسم المدعى العام ابتسامة الفوز .. وقام المحامى يقول
للقاضى :

— إذا سمحتم بتأجيل الجلسة بضع ساعات .. لأن هذا القرار
جاء مفاجئاً لنا ...

فوافق القاضى على رفع الجلسة على أن تعقد بعد الظهر ...
ونهض منصرفاً وانفض الجمهور .. وخرجنا ، أنا والصحفى
نتناول طعام الغداء فى مطعم بجوار دار المحكمة ، بعد أن علم أنى
أنوى العودة إلى الجلسة لمتابعة القضية ... فاهتمامى بها أمر
طبيعى .. وقد أدرك هو كما أدركت أن وراء هذه القضية قضية
أخرى أكبر وأعمق .. وفرغنا من شرب القهوة ونظرنا فى الساعة
ثم نهضنا عائدين إلى المحكمة ، واتخذنا مقاعدنا ، وعادت الجلسة

إلى الانعقاد .. وأمر القاضى بإحضار الشاهد الأول .. فجاء رجل يمشى بخطوات عسكرية .. هو أحد حراس مبنى التمثال .. حلف اليمين ثم جلس فى مقعد الشهادة .. وسأله القاضى عن معلوماته فقال :

— ليلة الحادث كانت نوبتى فى الحراسة .. فى نحو الثالثة بعد منتصف الليل سمعت فى الماء صوت محرك زورق بخارى .. فسددت منظارى المقرب فرأيت فى الزورق رجلا فى ثوب الاستحمام .. ولكن بعد لحظة ظهر من الماء رجل آخر فى ثوب الغطس ثم تبعته سيدتان فى ثياب الغطس أيضاً وهم يمسكون بحبل طويل .. وصعد الجميع إلى الزورق .. فخامرنى شك فى الأمر وصحت بهم .. وأطلقت عياراً فى الهواء من مسدسى لأمنع فرارهم .. وجاء زملائى وفتشنا الزورق فوجدنا به آلة نسف .. ثم جئنا بالغطاسين لنتبع طرف الحبل الطويل فعثرنا على أصابع الديناميت معلقة بأسفل الصخرة التى يقوم عليها مبنى التمثال .. وهنا طلب إليه القاضى أن يدلّه على المتهمين فأشار إليهم .. ثم أراه المضبوطات من أصابع الديناميت والحبال وآلة النسف (ثورة الشباب)

فتعرف عليها .. وترك القاضى الشاهد للمدعى العام كى
يستجوبه فسأله :

— ما هو الغرض الذى فهمته من عمل المتهمين ؟

— نسف التمثال طبعاً ..

— وما الذى فهمته من إدارة محرك الزورق ؟

— إن المتهمين كانوا يستعدون للفرار بالزورق بمجرد أن يتم
وجودهم فيه والضغط على زر النسف ...

— كان من الممكن إذن أن تتم الكارثة إن لم تسمع أنت صوت
المحرك ؟

— بالتأكيد ..

— شكراً ..

والتفت المدعى العام نحو المحلفين وقال :

— واضح كما ترون أن المتهمين كانوا يقصدون نسف التمثال
وقد نفذوا خططهم فعلاً .. وكاد يتم لهم ما دبروه .. فلا سبيل غير
ذلك .. وترك مكانه لحيثة الدفاع تستجوب بدورها .. فقام أحد
المحاميين يسأله :

— فى أى مكان بالضبط علق المتهمون أصابع الديناميت ؟

— فى أسفل الصخرة .. تحت الماء ..

— هذا القدر من الديناميت يكفى لإحداث ضرر فى أسفل

الصخرة تحت الماء .. ولكن هل هو يكفى لتخريب التمثال نفسه وطوله فوق الماء ٩٣ مترًا ؟

— لا أدرى .. لست خبيرًا ..

— مبنى التمثال والصعود داخله ممكن للزوار .. ألم يكن من

الممكن للمتهمين ترك المتفجرات أو إخفاء قنبلة زمنية داخله ؟

— توجد حراسة مشددة ...

— وهل هذا يمنع المحاولة لمن يريد ؟

— لا يمنع بالطبع ..

— إذن هو ممكن لو أرادوا ؟ ...

— نعم ..

— لماذا أطلقت الرصاص فى الهواء ؟ ...

— لأمنعهم من الفرار ..

— هل ظهر منهم ما يدل على رغبتهم فى الفرار أو أنك أنت

توهمت ذلك ؟..

— صوت المحرك الدائر دلنى على أن زورقهم على وشك
الانطلاق ...

— هل سمعت صوت المحرك عند اقتراب الزورق من مبنى
التمثال عندما جاءوا ؟..

— لا .. لأنى كنت فى مكان بعيد ..

— هل أنت متأكد من أن المحرك كان ساكنًا وأنه أدير استعدادًا
للانطلاق ؟..

— أنا سمعت صوته يدور فقط ..

— أليس من الجائز أنه كان دائرًا طول الوقت ؟...

— جائز ..

— لماذا حكمت إذن أنهم كانوا يريدون الفرار ؟..

— من باب احتياط ...

— من جانبك أنت .. لكن من جانبهم هم هل صدرت منهم

حركة تدل على رغبتهم فى الهرب ؟...

— لا ...

— شكرًا ...

— وهنا قال المدعى العام في لهجة أقرب إلى السخرية الخفيفة

المغطاة :

— ما الذى يريد الدفاع أن يصل إليه ؟ ...

فرد المحامى قائلا :

— أريد أن أنفى عن موكلينا نية الفرار .. لأنهم لم يرتكبوا شيئاً

يدخل فى باب الجريمة .. ولم يقطع الشاهد بأن الديناميت

الموضوع أسفل الصخرة كان كافياً لتخريب التمثال .. وأنه ..

فقاطعه المدعى بقوله :

— هذه مسائل من اختصاص الخير .. وهو موجود الآن فى

المحكمة ، وأرجو من سيدى القاضى أن يأمر باستدعائه ...

أمر القاضى باستدعاء الخير .. فحضر وحلف اليمين وجلس فى

كرسى الشهادة .. وعرضت عليه أدوات التدمير ففحصها وسأله

المدعى العام :

— هل عاينت المكان الذى وضع فيه الديناميت ؟

فأجاب :

— نعم .. وهو على عمق عشرة أمتار من سطح البحر ...

— ما مدى الخسائر التي كان يمكن أن يحدثها هذا الديناميت في

مبنى التمثال ؟

— لا يمكن تقدير مدى التلف بالضبط .. ولكن الانفجار كان

ولا شك سيحدث اهتزازًا خطيرًا في المبنى ..

— أليس من المحتمل أن يؤدي الاهتزاز الخطير إلى سقوط

التمثال ؟

— كل شيء في هذه الحالة محتمل ..

— ما الذي تستنتجه من هدف هذا الفعل ؟

— التخريب طبعًا ..

— ألا يمكن أن يكون لهذا الفعل هدف آخر ؛ كنقل التمثال من

مكان إلى مكان مثلاً ؟

— نقله من مكان إلى مكان ؟! .. تمثال بهذه الضخامة ؟!

وبهذه الوسائل الصيانية ؟! ... إنها نكتة مضحكة !...

— إذن لا يمكن أن يخطر على بال أحد جدية هذا الافتراض ،

وخاصة ممن هم على قدر كبير من التعليم والثقافة شأن هؤلاء

المتهمين الذين تخرجوا في جامعة هارفارد بأعلى الدرجات ؟! ..
— أعتقد أن التفكير في ذلك على هذا النحو لا يمكن أن يكون
جدياً .. لأن مشروع نقل هذا التمثال من مكانه هو عملية فنية
معقدة لا يستطيع تنفيذها إلا الشركات الهندسية الكبرى ..

واستدار المدعى العام وواجه المحلفين قائلاً :

— أظن أن حضراتكم قد اقتنعتم الآن أنه لا يمكن أن يكون
هناك هدف آخر لفعل هؤلاء المتهمين سوى التخريب ...
وقام أحد المحامين يسأل الشاهد :

— هل يمكن حدوث التخريب بمجرد وضع الديناميت ؟
— لم أفهم هذا السؤال ...

— هل هذا الديناميت يحدث الانفجار بمجرد وضعه كما هو
الحال في القنبلة الزمنية ؟

— لا بالطبع .. لابد من الضغط على الآلة الناسفة ..
— وإذا لم يكن هناك ضغط أو أى نية أو رغبة في الضغط على
الآلة الناسفة ؟

— في هذه الحالة ...

وهنا هب المدعى العام يقول :

— ما هذا الكلام ؟ يريد الدفاع أن يفهمنا أن المتهمين وضعوا الديناميت ثم جلسوا أمام آلة النسف في انتظار وصول الحراس ليقبضوا عليهم ؟

فرد المحامى على الفور :

— هذا بالضبط ما حدث ..

والتفت المحامى إلى المحلفين وقال :

— لو كان عند موكلينا نية التخريب لضغطوا فى الحال على آلة النسف قبل وصول الحراس .. لقد كان أمامهم الوقت الكافى .. فقال المدعى متهمكاً :

— وما هى النية التى كانت عند موكليكم ؟ .. نقل التمثال من مكان إلى مكان ؟! ...

فرد المحامى يهذوء :

— مسألة نقل التمثال ليس المقصود بها النقل المادى إنما هو النقل الرمزى والمعنوى .. نحن أمام جيل جديد طاهر مثقف صريح يرى تمثال « الحرية تضىء العالم » فى وضعه هذا ومجتمعه هذا كذباً

وزيفاً! ..

فقال المدعى :

— هذا الجيل الطاهر البريء يلجأ — مع ذلك اليوم — إلى

التخريب ..

وعندئذ علت صيحة احتجاج من المتهمين ودق القاضي بمطرقته يطلب السكوت .. وتهاشم المتهمون مع هيئة دفاعهم لحظة ، وبعدها نهض أحد المحامين عنهم واتجه إلى القاضي قائلاً :
— إننا بالاتفاق مع موكلينا نطلب من المحكمة سماع أقوالهم كشهود ..

فالتفت القاضي إلى المدعى العام سائلاً :

— هل لدى الادعاء مانع ؟

فأجاب :

— لا .. لا مانع ..

فأصدر القاضي قراره :

— إذن ترفع الجلسة على أن تنعقد في العاشرة من صباح الغد

لسماع المتهمين كشهود ..

ونفض وغادر منصته .. ونهضنا جميعاً وخرجنا من القاعة إلى الطريق .

وسألنى صاحبي عن برنامج الليلة .. وعرض على طائفة من الاقتراحات .. ولكنى لم أتحمس لها .. فالسهر يرهقنى .. وأنا لم أتجشم السفر إلى هنا لأشاهد مباحج الليل ، ولا لغرض السياحة في المسارح والنوادي والحفلات ، ولكن للسياحة داخل الآراء والأفكار والعقليات .. ولقد بدأت أستشف من هذه القضية أنها المطلب والبيغة ، وأنها تتفتح قليلا قليلا عن صميم ما نبحت عنه ونريد معرفته من كنه هذا المجتمع وما يتخمر تحته ويفور من مشكلات العصر .. فلنتفرغ إذن لهذه القضية .. ويحسن أن أنام مبكراً لأصبحو نشيطاً متنبهاً .. وتناولت بعض الطعام ومشيت مع صاحبي قليلا للرياضة قبل الرقاد .. وأضواء الحوانيت والملاهي في شوارع نيويورك تتفجر من لافتات ساطعة مختلفة تتوهج بالومضات السريعة تريد أن تخطف الأبصار قبل أن تخطف ما في الجيوب من كدح النهار .. مجتمع الاستهلاك الذي يقولون

عنه .. ساقية بشرية ضخمة تدور طول يومها لتصب عرقها في مجرى نبعها .. هكذا إلى غير نهاية .. وهذا النبع الدائم الذى لا ينضب معينه أين تذهب حصيلته ؟... هنا المسألة !... وعدت إلى فندقى وقرأت قليلا فى فراشى إلى أن غلبنى النعاس فمت .. ونهضت فى الصباح .. فوجدت الصحف قد نشرت بحروف كبيرة خبر سماع المتهمين كشهود فى جلسة اليوم .. وما أن اقتربت الساعة من العاشرة حتى كنت أنا وصاحبى الصبحفى فى المحكمة .. واتخذ الجميع أماكنهم فى القاعة .. ودخل القاضى وبدأت الجلسة الهامة التى ترقبها الناس .. ونودى على المتهم الأول ليجلس فى مقعد الشهادة ، ودعاه القاضى إلى الإدلاء بأقواله .. فقال :

— نحن الأربعة منذ كنا ندرس فى جامعة هارفارد أنا وزميلى كنا فى قسم واحد من كلية الاقتصاد .. والزميلتان كانتا فى قسم آخر للعلوم الإنسانية والفلسفة .. ولم نلتق بهم إلا فى النادى حول حوض السباحة نتسابق جميعاً فى القفز والغوص فى الماء .. وبعد أن تخرجنا بامتياز استطعنا أن نحصل على وظائف طيبة فى الشركات

الكبرى .. ثم طلبنا في حرب فيتنام .. وهناك جمعتنا المصادفة بالزميلتين وكنا نلتقى نحن الأربعة من حين إلى حين ونتجاذب الحديث ، وعجبنا لتطابق آرائنا واتحاد مشاعرنا إزاء هذا الذي نعيش فيه من فظاعة وبشاعة وبدأنا نسائل أنفسنا لماذا لماذا كل هذا ؟ .. وعندما عدنا قررنا أن نفعل شيئاً يجعل العالم يسمع صوتنا .. ولم نجد خيراً من المحكمة منبراً لذلك .. واخترنا تمثال الحرية لنجعل منه مدخلاً لقضية عامة .. وأعدنا كل شيء بغاية الدقة لبدو الأمر كأنه جريمة تخريب .. وبهذا ندخل المحكمة ونتكلم وينشر كلامنا على الناس جميعاً بمختلف وسائل النشر والإعلام .. وهذا ما حدث ..

وهنا التفت القاضى إلى المدعى العام يسأله عما إذا كان يريد أن يستجوب الشاهد .. فنهض متحفزاً يقول :

— بالطبع هناك أسئلة كثيرة لابد منها إزاء هذه البراعة والبراءة التى يريد المتهم أن يصور بها الجريمة .. ويحسن أن نأخذ الوقائع بالترتيب .. أريد أولاً أن تصف لنا حياتك العائلية ؟
فأجاب المتهم فى سخرية خفيفة :

— حياتى العائلية عادية جدًا .. ليس فيها أى شذوذ .. فوالدى لم يطلق والدتى .. ووالدتى لم تتركنى أهم فى الطرقات .. أى أنى شاب لا ينطبق عليه وصف ذلك الذى يسمونه اليوم الانحراف .. فقال المدعى :

— ومن الذى ذكر لك كلمة الانحراف ؟! إني أسألك سؤالاً عادياً لتجيب عنه ببساطة ... ومع ذلك سأعتبر أنك أجبت .. وأسألك سؤالاً آخر : ماهى الشركة الكبرى التى عملت فيها بعد تخرجك ؟

— شركة بورتهيد لاحتكارات الصلب .. وكنت فى القسم المالى والتجارى ..

— هل كنت موظفاً مرضياً عنك ؟

— نعم ... ولكنى لم أكن راضياً عن عملى بعد أن تبين لى وجود ذلك الجسر القوى بين الشركة والبتاجون .. وفهمت لماذا تقوم الحروب .. ومن أجل ماذا ولمن يموت مئات الألوف من الشباب الأمريكى ، والملايين من الأطفال والشيوخ والنساء فى آسيا ..

- .. هل تستطيع أن تدرك ذلك من عملك بالشركة ؟
- بالطبع .. فميزانية الشركة تدخل في اختصاص قسمي ..
- وعندما أرى أكثر من مائة ألف مليون دولار قيمة عقود يمنحها العسكريون للشركة ، وهى صاحبة نفوذ في الحكم ، يصبح من السهل معرفة صاحب المصلحة في الحروب ...
- ألا تعرف أن نظام الحكم في بلادنا هو الديمقراطية ؟
- نعم أعرف .. ولكنى بدأت أعرف أيضًا أن الاحتكارات والعسكرية هى الأصابع داخل قفاز الديمقراطية المطاط ..
- ألم تحاول أن تتحرى عن الأسباب السياسية التى جعلت من حرب فيتنام ضرورة قومية ؟ ...
- تحرّيت وسألت : لماذا لا نترك آسيا للآسيويين ؟ .. ما هى الضرورة لأن نحشر أنفسنا هناك ؟ .. ونمنعهم من اختيار النظام الذى يريدونه لأنفسهم ؟ .. فكان الجواب : استقلالهم الاقتصادى .. لا نريد استقلالهم الاقتصادى ...
- ألا تعرف أن استقلالهم الاقتصادى معناه انهيار اقتصادنا القومى ؟ ..

— بل معناه انهيار اقتصاد الاحتكارات التى تتضخم بما نستنزفه من دم آسيا وإفريقيا وطعام الآسيويين والإفريقيين ..
— وما الذى يهملك أنت من ذلك ؟..

— يهمنى منع هذه الحروب التى لن تنتهى لأن آسيا وإفريقيا قد استيقظتا وستدافعان عن طعامهما الذى هو حياتهما ، والحلف العسكرى الاحتكارى لن يتراجع عن خطف هذا الطعام وهذه الحياة ، ولن يقبل أى انتقاص من وزنه وتضخمه ، لأن أى نقص لن يمكنه من إعطاء أجور ترضى عماله وأرباح ترضى مساهميه ... وعندئذ ينهار ... فهو لابد يدافع عن حياته أيضاً .. وإذن فهى حروب يقذف فيها بنا نحن الشباب لثموت أو نقتل غيرنا من الشعوب ... وعلى هذا نرى مجتمعنا كالعابدة تقتل فيها الضواري غيرها لتتلاءم به معدتها ..

— إذن أنت تريد تغيير هذا المجتمع ؟

— نعم .. لأنه مما يناهى الكرامة الإنسانية أن يبقى مثل هذا المجتمع ليراه القرن القادم ...

— أنت إذن معترف بأنك أردت تغيير هذا المجتمع ؟ بأى

الوسائل إذذن تريد تغييره ؟ بالتدمير والتخريب ؟

— بتدمير الأفكار القديمة ..

— عن طريق العنف ؟

— لا ... لا يمكن أن تؤيد العنف ونحن نرفض الحرب ..

— هل أنت من شباب الهيبيز ؟

— أنا من الشباب الذين يرفضون الحرب وينادون بالسلام !.

— هذا لم يمنع أنهم اقترفوا مع ذلك جرائم القتل .. فما رأيك في

ذلك ؟

— بالطبع لا يمكن لأحد من الشباب أن يوافق على ذلك ..

وإذا كان المقصود قتلة شارون تيت والمذبحة التي تمت في منزلها

فكلانا اقشعر بدنه عند مطالعة مذكرات المتهم مانسون .. إنه

طراز من راسبوتين يخلط المسيح بالشیطان ويمزج السماء

بالدماء ... إنه طراز وحده لا يدل على شيء ولا يعبر عن أحد ..

ولا يمثل إلا نفسه ..

— ألا تعرف في شباب الهيبيز الآخرين بسلوكهم المنفر نوعاً من

التخريب للمجتمع ؟

— إنه تخريب لأنفسهم قبل كل شيء .. وإذا كانوا قصدوا تخريب المجتمع من خلال تخريبهم لأنفسهم فهي تضحية ككل التضحيات الأخرى .. وعندما يجدون أنه لا خيار لهم بين أن يموتوا في الحروب من أجل الرأسمالية الاحتكارية أو أن يموتوا بالضياح كرهاً في هذه الحروب فالأمر عندهم سيان ...
— إذن أنت توافق على التخريب ؟ سواء للمجتمع أو للذات ؟

— أنا لا أحب ارتكاب جريمة مهما يكن نوعها ...
— هل سبق لك تعاطي المارجوانا أو أى نوع من المخدرات ؟
.. — لا ، ولا أحب للشباب أن يلجأ إلى تعاطيها مهما تكن الدوافع .. وأعتقد أنها نسبة ضئيلة من بين ملايين الهبيز الذين يتعاطونها أو يمارسون الجنس علناً أو يأتون هذه المباديل التى يضخمها وينشر أخبارها من يهتمهم مكافحة حركة الشباب ضد الحروب بتشويه وجه هذه الثورة ..

— وهل أنت من المنتمين إلى هذه الثورة ؟
— نعم .. كل ثورة ضد هذه الحروب القذرة ومشعلها من

الاحتكاريين والعسكريين أنتمى إليها ..

— ولماذا الشباب هم القائمون بالثورة ؟

— لأنهم هم الذين سيشاهدون القرن الحادى والعشرين ..

ويريدون أن ينقلوا إليه مجتمعًا نظيفًا .. هذه هي القضية لا يمكن أن

نسمح نحن الشباب لهذا المجتمع الفاسد أن يتخطى أعتاب القرن

الجديد .. سنفعل كل شيء كى نمهد للقرن الجديد بأفكار

جديدة، كما مهدت الثورة الفرنسية للقرن التاسع عشر بالأفكار

الجديدة والمجتمع الجديد .. وكما مهد القرن التاسع عشر للقرن

العشرين بالأفكار الاشتراكية الجديدة ...

— وما هي فى رأيك صورة المجتمع فى القرن القادم ؟

— من الصعب على الثورة أن ترى بوضوح مجتمع قادم .

هل كان الثوار فى فرنسا مثلاً عندما هدموا الباستيل يتصورون

نظام المجتمع بعد ثلاثين عامًا ؟

— إذن هدم الباستيل فى رأيك هو أهم خطوة فى الثورة ؟

— لقد كان رمزًا .. مجرد رمز ...

— مثل هدم تمثال الحرية ؟

- لم نصبل بعد إلى هذا الحد ...
- وما الذى وصلتم إليه ؟
- بذرة الثورة ... وقد بدأت تنبت فعلا فى هذا المجتمع ..
- تقصد الثورة على نظام هذا المجتمع ؟
- نعم ..
- وما هو الفرق بين التخريب والثورة ؟
- تستطيع أن تجيب خيرا منى كل من الزميلتين .. فقد درست العلوم الإنسانية والاجتماعية ...
- عندما كنت تدرس فى الجامعة هل كنت طالبا ثائرا ؟
- لا .. كنت طالبا عاديا ...
- متى بدأت عندك فكرة الثورة ؟
- بعد عودتنا من فيتنام كما سبق أن قلت ...
- وبقية الشباب الذى لم يذهب إلى فيتنام كما بدأت عنده فكرة الثورة ؟
- لا أدرى ...
- هل يوجد قادة يوجهون هذه الحركة ؟

— لا علم لى بذلك ...

— من منكم كان صاحب الفكرة فى تخريب تمثال الحرية ؟

— كلنا فكرنا فى هذا فى وقت واحد ...

— ومن رسم خطة التنفيذ ؟ ..

— أنا ..

— ومن أين حصلتم على الديناميت وآلة النسف ؟

— أبى يعمل فى شركة مقاولات .. وقد استطعت أن أحصل

على هذه الأدوات من مخازن الشركة ...

— بعلم والدك ؟ ...

— لا ..

— سرقها إذن ؟

— استعرتها .. لم يكن فى نيتنا بالطبع امتلاكها أو الاحتفاظ

بها ..

— مفهوم .. نيتكم دائماً بريئة ؟ ومن الذى وضع أصابع

الديناميت فى الصخرة ؟

— أنا .. بمساعدة الزميلتين ..

- وزميلكم الرابع ماذا كان عمله ؟
- تركناه فى الزورق لأنه لا يحسن الغطس ..
- ومن الذى كان عليه أن يضغط على آلة النسف ؟
- لا أحد .. لأنه كما قلنا لم نكن ننوى أن ننفذ النسف ..
- إذا كانت هذه حقيقة نيتكم فلماذا لم تضعوا أصابع ديناميت فارغة أو لم تأتوا بآلة نسف غير صالحة للاستعمال ؟
- فكرنا فى هذا فعلا .. ولكننا وجدنا أن هذه المهزلة ستكشف فى الحال .. وبذلك تفسد الخطة كلها ولن يتاح لنا الدخول إلى هذه المحكمة ...
- والآن وقد دخلتم فما هى الرسالة الخطيرة التى تريدون إعلانها من فوق هذا المنبر ؟
- نريد أن يعرف الناس بصورة حاسمة أنه توجد الآن قضية .. قضية جدية .. هى قضية القرن الحادى والعشرين .. القرن الذى لن يدخله عدوان ولا تفرقة عنصرية أو اجتماعية أو رأسمالية احتكارية .. قرن الحب والسلام والإخاء الإنسانى .. وأن الثورة قد بدأت داخل هذا المجتمع العدوانى البالى ولن يقف فى

سينلها شيء إلى أن تظهر بشائر المجتمع الجديد .. ونحن نطالب الناس جميعًا من هنا أن يثوروا معنا على الأفكار القديمة التي لا تصلح للحياة في عالم الغد .. وأن يعدوا أنفسهم لتقبل التغيير الذى لا بد من حدوثه .. وإلا جرفتهم الأجيال الطالعة مع نفايات القرن المغتصب ..

— هل عندكم فكرة واضحة عن طريقة تغيير المجتمع الحالى ؟

— لست أفهم السؤال ..

— الثورة التى تقول إنها ستغير المجتمع هل هى ثورة اجتماعية

شعبية أو سياسية برلمانية أو انقلابية عسكرية ؟

— لا يمكن تصور شيء من هذا فى أمريكا ..

— إذن ما هذه الثورة ؟

— هى ثورة الأفكار الجديدة لجيل جديد ..

— تقصد هذا الجيل من الشباب الضائع الهائم كالكلاب الضالة

القدرة ؟

— هذا الجيل هو الطليعة المضحى بها ، هو الخطب والوقود فى

نيران الثورة التى ستأكل الأفكار والقيم البالية .. ليظهر بعد ذلك

الشباب الحى الذى سينتقم لهم بأفكاره وقيمه الجديدة التى تلامم
القرن الحادى والعشرين ...

— وهل مجرد الثورة الفكرية بغير العنف لها الفاعلية الكافية ؟
— ليس العنف ضروريًا فى كل الأحوال لإحداث التغييرات
الكبرى .. لقد استطاع رجل عارى الجسم إلا من خرقه أن يطرد
إمبراطورية كبرى من بلاده .. ذلك هو الزعيم الهندى غاندى ..
— إذن أنت تتصور ثورة الشباب على طريقة غاندى ؟

— لا أظن تصورهم بالثورة الآن هكذا وخاصة شباب الهيبيز لم
يدرس هذا الرجل دراسة كافية .. لقد كان هو أيضًا بجسمه
العارى وعنزته لا يحفل بالمظاهر ، ولكن تجرده وانطلاقه أثار فى
الناس العطف والاحترام ، ولم يثر فيهم الاشمئزاز الذى يثيره التجرد
والانطلاق القذر عند أغلب هؤلاء الشباب .. ولذلك فقدوا
جزءًا كبيرًا من معركتهم لمجرد المظهر .. واستعملت ذلك
المخابرات المركزية فحرضت عليهم الرأى العام وتحرش بهم
السخفاء والبسطاء والجهلاء ..

— هل تعتقد أن هؤلاء الشباب لديهم إيمان حقيقى بهذه الثورة

التي تقول عنها ؟

— لا أظن تصورهم للثورة الآن مثل تصور الكبار الناضجين .. إن أغلبهم صغيرو السن .. والثورة عندهم تلقائية وليست فكرية .. وهم يفهمونها على أنها طريقة حياة يجب أن تكون مختلفة عن طريقة أسلافهم .. إنه مجرد إحساس بعصرهم الجديد .. وإحساسهم بالعصر هو الذى يربطهم ويوحدهم .. فالوحدة فى الملبس والمظهر بين الأمريكى والأفريقى والآسيوى اليوم مرجعها الإحساس الشديد بالعصر .. السن والعصر يؤثران فى شباب العالم كله بشكل واحد برغم اختلاف المجتمعات والبيئات ..

وسيقضى هذا ولا شك على التفرقة العنصرية والاجتماعية فى المستقبل .. أما الثورة من حيث هى إيمان بمذهب محدد فهى من عمل القادة والمفكرين والمقننين .. وسيأتى ذلك فى حينه ..

— ألا تعتبر الانطلاق من حدود القيم السائدة هو نوع من

التخريب ؟

— لست أنا الذى يعتبر .. قوانين الدولة هى التى تعاقب ما

تعتبره من قبيل التخريب .. فالمخدرات مثلاً للسلطات أن تقبض على من يتعاطاها .. ومتعاطيها ليس الشباب وحده .. بل إن أى إحصائية تدل على أن نسبة المدمنين من الكبار والكهول والشيوخ أكبر بكثير .. وهؤلاء الكبار هم الذين يزرعون ويصنعون ويتاجرون فى المكيفات كلها .. وهم المسئولون ..

— تقصد أن الأجيال القديمة مسئولة عما يحدث ؟

— هذا بديهى .. إذا لم يكن الفساد منها فما حاجتنا إلى الثورة

عليها ؟!

— أنت تزعم أن ثورتكم بعيدة عن العنف فلماذا لجأت إلى

شكل من أشكال العنف وهو محاولة تخريب تمثال من ممتلكات

الدولة ؟

— سبق أن قلت أن نيتنا لم تكن التخريب ...

— أعرف ذلك .. ولكنى لا أتكلم عن النوايا الآن .. إني

أتكلم عن شكل التصرف والإجراء .. فمثلاً إذا كنت تناقش

شخصاً فى موضوع الحب والحرية والسلام ثم أخرجت له مسدس

طفل ، وتوهم هو أن الأمر جد ، ألا تكون قد لجأت معه إلى

موقف من مواقف العنف ؟

— بالطبع .. ولكن في حالتنا الأمر مختلف .. فنحن لم نرد التهديد ولا التخويف ولا التأثير .. نحن أردنا فقط التذرع بوسيلة تدخلنا المحكمة لنناقش علناً قضية عصر قادم ..

— ولماذا لا يكون هناك تصوير آخر للواقعة .. وهو أنكم أردتم إفهام الشباب الثائر المتطلع إليكم أن الالتجاء إلى شكل من أشكال العنف ممكن أو ضروري عند اللزوم كوسيلة مجدية ..
— لم يخطر على بالنا أن نكون قدوة للشباب في ذلك ..
— أتظن هذا يدرأ المسؤولية عنكم ؟

— لا أدري ..

— هل تعلم بوجود خطة أو اتجاه عند الشباب لاستعمال العنف في المستقبل ؟
— لا أعلم ..

— هل تعتقد أن ثورة الشباب لا بد أن تؤدي حتماً إلى استخدام العنف ؟

— ليس من المحتم .. فكل الظواهر حتى الآن تدل على أنها من

نوع — المقاومة السلبية — وإذا كان غاندى قد استطاع أن يقهر بها الإمبراطورية البريطانية فإن ثورة الشباب تستطيع بها أيضاً أن تقهر الإمبراطورية الأمريكية الرأسمالية وذلك بعد أن تتجاوز مرحلة الانطلاقة الأولى التلقائية الغريزية الهوجاء .. ويبدأ هذا السيل المندفِع في حفر المجرى المنتظم ..

— هل تعلم بوجود منظمات قيادية تعمل في هذا الاتجاه ومن أجل هذا الغرض ؟

— لا .. لا أعلم ..

— ولكنك لا تستبعد وجودها أو التفكير في إيجادها ؟

— هذا محتمل جداً ..

— هل هناك كتابات بالذات موجهة أو مؤثرة في الشباب ؟

— بالطبع لا بد أن الشباب الذى يقرأ يجد في بعض الكتابات ما

يؤثر فيه وربما ما يساعد على تكوين فكره الثورى ولكن هذه نسبة

ضئيلة من الشباب .. أما الملايين فلم تنزل بعيدة عن هذه

القراءات ، وهى الآن كما قلت في مرحلة التجمع والتوحيد وتقليد

بعضها البعض تلقائياً والانطلاقة الثورية الغريزية .. وهذه مرحلة

طبيعية في بداية الكثير من ثورات التاريخ ، تبدأ كتل الشعب في الانطلاق المندفع بهدف عائم أو مطلب عام قبل أن تدخل في مرحلة التفكير الثورى المنظم المحدد الواضح المدروس ..

— هل تعرف أحدًا من زعماء ثورة الشباب هذه ؟

— لا ..

— إذا كنت تعرف فهل كنت تقول لنا ؟

— ليس هناك ما يمنع إذا لم أكن مرتبطًا بوعده أو بقسم ..

— هل في مثل هذه الأحوال توجد ارتباطات أو نوع من الحظر

على حرية القول ؟

— لا أعرف .. وليس من الضروري ... ولكنى أقصد أن أى

شخص يرجو منك عدم ذكر اسمه في مناسبة من المناسبات أو في

أى موضوع مهما يكن عاديًا أو تافهًا فإن الواجب أن تلبى

طلبه ..

— شكرًا ..

* * *

قالها المدعى العام وانصرف عن الشاهد .. وهنا التفت القاضى

إلى الدفاع وسأله عما إذا كان يريد هو أيضًا بدوره أن يلقي أسئلة على موكله قبل أن يترك مقعد الشهادة .. فأجاب الدفاع بالنفي والاكتفاء بما أدلى به موكله من أقوال .. وعندئذ هم القاضى برفع الجلسة ..

وقبل أن يرفع القاضى الجلسة طلب المحامى أن تخصص جلسة الغد لسماع موكلته المتهمة الثانية كشاهدة فوافق القاضى ونهض منصرفاً .. ونهض الجميع وخرجوا من القاعة وخرجنا معهم أنا والصحفى . وسرنا صامتين نفكر فيما سمعنا .. أو على الأصح كنت أنا الذى أفكر مأخوذاً وكان هو يحتلس إلى النظر ، كما لو كان يتحين الفرص ليستطلع رأى .. وكنت كلما أدركت منه هذا الغرض أمعنت فى الصمت الذى يقطع عليه السبيل .. ودخلنا أحد المطاعم .. ثم خرجنا لنجد بعض الصحف قد ظهرت تحمل العناوين المختلفة بالخط الكبير منها ما يقول : « جلسة اليوم المثيرة » .. ومنها ما يعلن : « الثورة فى أمريكا » .. ومنها أيضاً : « اليسارية تحتاج الشباب » .. واختطفنا الصحف وانهمكنا فى قراءة التعليقات المتضاربة على ما شاهدناه وما سمعناه بأنفسنا طول النهار ...!!

حاول صاحبي الصحفي الأمريكى أن يغرينى مرة أخرى بالحديث فى شهادة المتهم اليوم ، واستطلاع رأيى فيها .. وكنا قد جلسنا فى مشرب الفندق نتناول القهوة .. وكان يدون فى دفتره الصغير بعض نقاط من حين إلى حين .. فعلمت أنه لابد سيكتب لصحيفته عن القضية .. إذ ليس من المعقول أن ينفق صحفى وقته كله فى قاعة جلسة ، يستمع فيها إلى قضية هامة تهز البلد ، ولا يخرج من كل ذلك بمقال .. ولكن ما هو نوع الكلام الذى سيكتبه؟ ها هى ذى تعليقات الصحف .. أكثرها يدور حول مقدرة الشباب فى إحداث تغيير حقيقى فى المجتمع الأمريكى .. وبعضها يتناول ثورة الشباب بالتشهير والسخرية والتشويه .. ولكن البعض يبدى اهتماماً شديداً بما ذكر فى جلسة اليوم عن « المقاومة السلبية » وكان الاهتمام عند بعض آخر مشوباً بالقلق .. فمما لا شك فيه أن هذا السلاح السلمى قد نجح فى الهند

على يد غاندى .. وقول المتهم فى شهادته أنه إذا كان غاندى قد قهر
الإمبراطورية البريطانية بالمقاومة السلبية فليس هناك ما يمنع
الأجيال الجديدة من قهر الإمبراطورية الأمريكية بنفس
السلاح .. ولكن السؤال الذى تردد هو هل روحانية غاندى والهند
لها الدخول الأكبر ؟ وهل الشباب الأمريكى له مثل هذه
الروحانية ؟ أم أن هذا السلاح يمكن استخدامه فى أى بلد وأى
عصر ؟ فإذا تذكرنا أن فكرة « المقاومة السلبية » ليست هندية ،
وأن غاندى قد اعترف فى شجاعة العظمة النادرة أنه استعارها من
تولستوى ، وإن ما نبت فى أرض روسيا قد أمكن استيراده
واستنباته فى أرض الهند ، فإن من الممكن أيضاً أن تنتقل الفكرة من
بلد فى الشرق إلى بلد فى الغرب وتنب وتؤتى نفس الثمار ..
كل هذه التعليقات بما تعكسه من اتجاهات تعبر عن قلق واهتمام
بمصير أمريكا وحدها .. ولكن المتهم فى شهادته تحدث عن شيء
لم تركز عليه الصحف التركيز الكافى .. ذلك إشارته إلى القرن
الحادى والعشرين وقوله إن القضية فى الحقيقة قضيته ، وأنه يجب
الحيلولة دون وصول العدوان إليه فى كافة صورته .. إنها مهمة

الشباب فى العالم كله إذن وليس الشباب الأمريكى وحده .. لأن القرن القادم هو ملك كل شاب على كوكب الأرض مهما تختلف الألوان والأجناس .. وكل شاب على هذه الأرض من مشرقها إلى مغربها مسئول عن الإعداد للقرن الجديد الذى سيسكنه هو بمفرده وليس الآباء والأسلاف .. لقد كانت شهادة المتهم الأول اليوم واضحة فى هذا المعنى .. ترى ما الذى يمكن أن تدلى به غداً المتهم الثانية ؟ إن اشتياقى لشديد !.. حبذا لو أسرع الغد بالجميـء لأجد نفسى فى قاعة الجلسة .. وتركت صاحبى الصحفى يذهب لأعماله أو مقاله .. على أن نجتمع فى صباح اليوم التالى .. ولزمت حجرتى بالفندق ..

وجاء الصباح .. وسرنا معاً إلى المحكمة .. وافتتحت الجلسة وطلب القاضى من المتهم الثانية أن تتقدم وتجلس فى مقعد الشهادة .. كانت امرأة شابة دون الثلاثين بقليل ، متوسطة الجمال ، تضع على عينيها نظارة طبية تلمع خلفها نظرات ذكية لمالحة ، وشعرها الأشقر مصفوف فى أناقة ولياقة .. لم يكن فى مظهرها شىء خارج أو صارخ أو غير عادى .. وهذا أيضاً ما

يتصف به المتهمين الآخرين .. لم يكن في مظهرهم الخارجى ما يستلقت النظر .. ولذلك اتجه التفاتنا من أول الأمر إلى أفواههم لا إلى أشكالهم ..

دعاها القاضى إلى الكلام فقالت فى بساطة واختصار :

— ليس عندى ما أضيفه إلى أقوال الزميل أكثر من أنى وزميلتى بعد أن تخرجنا معاً من كلية العلوم الإنسانية بدرجة ممتازة ثم تعيننا فى مكتبة الكونجرس ولبثنا بها إلى أن دعينا للعمل فى فيتنام .. وبعد عودتنا واجتماعنا نحن الأربعة جعلنا نفكر فى مصير العصر الذى نعيش فيه .. وما ينبغى لنا فعله على الصورة التى وصفها الزميل .. وسكتت .. فقام المدعى العام يستأذن القاضى فى استجواب المتهمه فأذن له .. فقال :

— لن أثقل على الشاهدة بسؤالها عن أسرتها أو نشأتها .. فواضح أننا أمام نوع من الشباب لا يصدر فى جرائمه من انحراف أخلاقى وسلوكى ، ولكن عن انحراف عقلى وتفكيرى .. وإنه لمن العجب أن تعيش المتهمه بين الكتب فى مكتبة عظيمة كمكتبة الكونجرس ويخطر لها الاشتراك فى جريمة تخريب .. ولذلك أريد (ثورة الشباب)

أن أسألها : ألم تشعر فى وقت ما بخطأ ما هى مقدمة عليه ؟
فقلت بهدوء : لم أشعر بأى خطأ.. بل الخطأ الوحيد فى
نظرنا هو السكوت على أخطاء هذا العصر ..
— وهل أخطاء هذا العصر لم تتكشف لك إلا من حرب
فيتنام ؟

— هذه الحرب وغيرها هى نتيجة من نتائج هذه الأخطاء .
— وهل تصحيح هذه الأخطاء يكون فى رأيك عن طريق
الجريمة ؟

— لا بالطبع ..

— إذن لماذا لجأت مع شركائك إلى التخريب ؟

— لم نقصد التخريب ...

— وماذا كنتم تقصدون ؟

— كنا نقصد منع وصول أخطاء هذا القرن إلى القرن
القادم .. وكنت أفكر كثيرًا فى ذلك أثناء عملى بمكتبة الكونجرس
وعندما كنت أراجع الفهارس كانت بعض الكتب تبدو لى
مسئولة عن كثير من الكوارث .. مثل تلك التى تمجد الحروب ،

وتقدس أمثال الإسكندر ويوليوس قيصر ونابليون .. ورأيت
الخير في إبادة هذه الكتب حتى لا تصل إلى الأجيال القادمة ..
وفكرت في حرق القسم الذى يحتويها من مكتبة الكونجرس ..
— حرقها ؟ وبأى وسيلة كنت ستحرقين مكتبة الكونجرس ؟
— ما معنى هذا السؤال ؟

— هل فكرت مثلاً فى استخدام النسف بالديناميت أو بقنبلة
زمنية تضعينها فى أحد أركان مكتبة الكونجرس ؟
وهنا هب المحامى الموكل بالدفاع عنها يصيح :
— إني أحتج .. إن المدعى العام يستغل سوء دفاع موكلتى
وسوء تعبيرها بفلتة كلمة عابرة لجعل من ذلك موضوع اتهام
جديد يكيلها به ...

فقال المدعى العام : إني لا أوجه اتهاماً جديداً .. ولكن ما دام
قد ورد فى أقوال المتهم ما يدل على سبق وجود فكرة التخريب
لديها فلا بد من تتبع هذه الفكرة ..
والتفت إلى القاضى مستطلعاً رأيه فأشار إليه بالمضى فى أسئلته
فعاد إلى المتهمه يسألها : هل أخبرت أحداً من شركائك بالفكرة

التي خطرت لك بحرق مكتبة الكونغرس ؟

— أخبرت زميلتي فقط .. فضحكت .. وضحكنا ولم نأخذ الأمر بعد ذلك مأخذ الجد ..

— هل ضحكتما من الفكرة لصعوبة تنفيذها ؟

— نحن لم نفكر أبدًا في التنفيذ ..

— وكيف فكرتم إذن في تنفيذ الجريمة الأخرى .. وهي تخريب

تمثال الحرية ؟

— سبق أن قلنا إننا لم نقصد التنفيذ .. ولكن قصدنا فقط تمثيل

مظهر الجريمة دون ارتكابها بالفعل ..

— وهل عندما فكرت في حرق مكتبة الكونغرس كان قصدك

أيضًا عدم تنفيذ الحرق الفعلي ؟

— ولم لا ؟

— هذه ليست إجابة يجاب بها في قاعة محكمة .. نريد منك

جوابًا قاطعًا واضحًا ..

— فكرة حرق مكتبة الكونغرس فكرة سخيفة ، ونتيجة

انفعال طارئ ..

— وما الفرق بين حرق مكتبة الكونغرس وحرق تمثال الحرية ؟

— حرق الكتب على كل حال عمل همجى .. مهما يكن نوع الكتب ومبلغ ضررها ..

— وكيف تمنعين هذه الكتب الضارة من الوصول إلى الأجيال القادمة ؟

— بالثورة عليها ..

— ما هى العلاقة بين الثورة والتخريب ؟

— ليس من الضرورى أن توجد دائماً علاقة بين الثورة والتخريب .. هناك تخريب بدون ثورة .. كما أن هناك ثورة بدون تخريب ..

— كيف تقوم ثورة بدون تخريب ؟

— التخريب هو التخريب .. والثورة هى إرادة التغيير .. وقد تنشأ إرادة التغيير ويحدث التغيير فعلاً دون تخريب أو عنف .. وقد سبق لزميلى أن ذكر شيئاً عن المقاومة السلبية وهى سلاح الثورة السلبية .. وقد تحدث الثورة أيضاً بغير مقاومة إطلاقاً إذا كان

الشعور العام يريدّها ويؤيدها فلا تجد في طريقها أى اعتراض ..
— ولكن من النادر أن تحدث ثورة بغير عنف ..
— إن العنف يأتى من وجود اعتراض مضاد للثورة ، أى قوة
تقف في وجه إرادة التغيير ، وتعمل على صدها بالعنف .. فلا تجد
الثورة بدءًا هي الأخرى من شق طريقها بنفس العنف ، إن العنف
يولد من العنف ..

— ولماذا فكرتم أنتم في بداية ما تسمونه ثورتكم باستخدام

العنف ؟

— سبق أن قلنا إننا لم نقصد غير مجرد استلفات النظر ..

— ولماذا يكون لفت النظر بالجريمة ؟

— قلت الآن إنها ليست جريمة .. ولكنها تمثيل فقط لمظهر

الجريمة ..

— تمثيل العنف بمظهر العنف أليس هو نوعًا من الإرهاب ؟

— لم نقصد الإرهاب ...

— إنه على كل حال اعتراف منكم بقيمة العنف ..

— نحن ضد استخدام العنف ..

— ولكن قيامكم بتمثيله على حد قولكم ، وإتقان هذا التمثيل

هو دليل قاطع على أنكم لم تسقطوه من حسابكم .

— إنه مجرد مظهر ..

— أليس في الالتجاء إلى مجرد المظهر دليل على أنكم في حاجة

إليه .. وإلى أن مجرد صورة الجريمة مفيدة لكم في القيام

بنشاطكم ؟

— مع الأسف إننا نعيش في مجتمع لا يلتفت نظره شيء مثل

مظهر الجريمة أو منظر مظهر الجريمة أو منظر الشذوذ ..

— ما هو سبب عداوتكم لهذا المجتمع وثورتكم عليه ؟

— سبق أن تكلم زميلي في هذا .. ولا أرى داعياً إلى تكراره ..

ولكن لا بأس من أن أؤكد معه مرة أخرى أن هذا المجتمع غير صالح

للحياة المستقبلية .. فهو يعيش مخدراً .. ولا بد من هزة توقظه

وتفيقه ليدرك أنه يحلم دائماً بصورة قديمة ، في وقت يشرف فيه

إنسان الفضاء ببداية تفكير جديد .. هذا المجتمع الذي لا يعجب

ولا يدهش لسياسة وقواد ما زالوا يحلمون بسطوة الإمبراطوريات

الغابرة ، ولحكام ودول ما زالت تحلم بإعادة مجد ملوك التوراة ،

ويعجب ويسخر ويتهم بالبدائية شباباً يطلقون الشعر ويسرون

وهم عراه !.. مثل هذا المجتمع الذى يرى الشذوذ فى السفاسف ولا يراه ولا يحاربه فى العقول والأحلام التى تجر إلى الكوارث هو مجتمع غير جدير بالحياة فى القرن القادم ...

— إذن أنتم تريدون أن تدموا فى المجتمع صور الماضى ؟

— نحن نريد من المجتمع أن يكون جديراً بعصره وأن يتأمل بتفكير طليق حر كل الصور والقيم ، وأن يحللها على ضوء الحاضر والمستقبل ليستبقى منها فقط ما يمكن أن يبنى به إنسانية جديدة فى عصر الفضاء الجديد ..

— ومن الذى له حق الحكم على الصور والقيم ؟. أنتم !؟

— نحن وغيرنا .. حتى الكهول والشيوخ .. كل من استطاع أن يتحرر بعقله وفكره من جاذبية الأرض المعنوية للعادات الموروثة والأفكار المغروسة ..

— إذن أنتم تريدون هدم القيم والأفكار التى يعيش عليها

المجتمع ؟

— نحن نريد أن نقول إنه فى عصر الإنسان الجديد لا توجد

مسلمات وأن كل شئ يجب أن يعاد فيه النظر ..

— ألا تعتقدون أنه لابد من مسلمات يركز عليها المجتمع وأن

من يهدمها مثل من يهدم أساس بيت بحجة إعادة بنائه ؟

— نحن نريد فعلا إعادة بناء المجتمع ..

— أليست إعادة البناء تقتضى الهدم أولا ؟

— طبعى ..

— شكراً ..

وترك المدعى العام المتهمة والتفت إلى المحلفين قائلاً :

— لقد وصلنا أخيراً إلى النتيجة الطبيعية ، وهى وجود نية

الهدم والتخريب عند هؤلاء المتهمين .. وقد اعترفت أمامكم هذه

التهمة بأن هدم المجتمع بدعوى إعادة بنائه هو شىء طبيعى .. فإذا

زعموا لنا أن نية التخريب لم تكن موجودة لديهم عندما وضعوا

الديناميت فى أسفل التمثال واستعدوا للنسف بجهاز صالح

للاستعمال كان على وشك التفجير وإحداث الآثار المدمرة ، إذا

زعموا لنا ذلك ، وحاولوا إيهامنا ببراءة قصدهم فهل نصدقهم ؟

وإذا تذكرنا تفكير المتهمة فى حرق مكتبة الكونجرس فهل

نصدقها ؟

(ثورة الشباب)

وأخذ المحلفون يتفرسون في وجه المتهمة وهي في مكانها جالسة بمقعد الشهادة هادئة رابطة الجأش .. ونهض المحامي عنها يطلب مناقشتها .. فسمح له القاضي بذلك .. على أن تبدأ هذه المناقشة بعد الظهر ، بناء على طلب الدفاع ، حتى لا يكون هناك إرهاق لموكلته .. ورفعت الجلسة .. وخرجنا أنا وصاحبي الصحفي نتناول القهوة والشطائر ونمشي في الشوارع ... وإذا الصحف قد ظهرت تحمل العنوان الضخم المثير « حرق مكتبة الكونجرس » ! .. على أن الشوارع كان فيها من المظاهر المثيرة ما يبعث كذلك على العجب والتفكير ... ففى كل منعطف كنا نصادف طوائف من الجموع تحمل لافتات عليها شعارات غريبة وأحيانا متناقضة . فمنها ما يطالب بالمساواة بين البيض والسود .. ومنها ما يطالب بسحق السود .. ومنها ما يطالب بمنع الحروب .. ومنها ما يطالب بإباحة الشذوذ الجنسي .. ومنها ما يعلن أنه يجب سيادة الرجال على المرأة ، ومنها ما يبارك سيادة المرأة على الرجل ، إلى آخر ما يمكن تصويره من صيحات وتشنجات وتقلصات تنم عن مجتمع في حالة مرض نفسي .. وكان صاحبي يمر بكل ذلك

ولا تبدو عليه الدهشة ، كأنها مشاهدة عادية يومية .. ولكن الأمر معى مختلف فأنا القادم من بعيد بدأت ألح في كل هذا الذى أرى نذيرًا لشيء سوف يحدث ، ليس من السهل الآن تبين ملامحه ..

وجاء وقت العودة إلى المحكمة .. فعدنا إليها وجلسنا فى أماكننا المعتادة ولم تلبث الجلسة أن عقدت .. واتخذت المتهم الثانية مكانها فى مقعد الشهادة ، وأشار القاضى إلى محامها ليبدأ مناقشتها .. فسألها المحامى :

— عندما قلت إنكم تريدون هدم المجتمع لإعادة بنائه هل كنث تقصدين بذلك الهدم المادى أو الهدم المعنوى ؟
فأجابت المتهم على الفور :
— الهدم المعنوى طبعًا ..

— وهل كنت تقصدين أنك أنت بالذات المنوط بك مع زملائك القيام بهذا الهدم والبناء ؟

— لا .. ليس هذا قصدى .. عندما أقول نحن نريد هدم المجتمع أو إصلاحه أننا نستعمل أسلوبًا لغويًا فى التعبير يرادف قولنا

نتمنى أو نتنبأ .. لأن هذا عمل أكبر منا .. وكل ما نستطيع القيام به هو التبشير أو النذير أو توجيه النظر ..

— إذا كان فعلكم كمن يطلق شعلة في الجو المظلم لينبه الناس

إلى شيء ؟

— هذا هو ما أردناه بالضبط .

— وهذا الذى أردتم أن تعلنوه أو تنبهوا إليه هو لخير المجتمع ؟

— بالطبع .. كل تشخيص لحالة المجتمع هو لمصلحته .. هذا

المجتمع اليوم فى حالة وحم يدل على أنه يحمل فى بطنه جنينًا .. وكل

أعراض الوحى الشديد ظاهرة اليوم فى هذا القرف العام والقيء

المستمر والمزاج العصبى والتوتر والقلق والشهية المفقودة أحيانًا أو

المفتوحة للرغبات الشاذة أحيانًا أخرى .. والتراخى والترهل

والإهمال والتفسخ والشكوى والصياح والشعور بالاختناق

والرغبة فى الانطلاق .. إنه الوحى فى أشد حالاته مؤذنًا بتحريك الجنين

فى بطن المجتمع الحامل ..

— ماذا تقصدين بهذا الجنين ؟

— هذا الجنين هو الثمرة الطبيعية لحادثين من أضخم أحداث

البشرية .. بل هما أضخم ما حدث للإنسان في كل عصوره :
وهما إلقاء قبلة هيروشيما ونزول الإنسان على القمر .. إننا لم نزل
في نصف وعى لما جرى وللنتائج ، كمن تسرقه السكين .. وإذا
راجعنا التاريخ نجد مجتمعات قد قلبت قلبًا لأحداث أقل من ذلك :
قدرًا وأهون شأنًا كظهور البارود أو البخار أو الكهرباء ولكن
لابد دائمًا من بعض الوقت لتحدث هذه الأحداث أثرها في تحويل
المجتمع وقلبه وتغييره .. وهذا ما سيحدث حتمًا ..

— فلنعد إلى صورة الجنين .. هل تعتقد أن هذا الجنين

سيولد مشوهًا أو منتظم الخلقة ؟

— أرجو أن يكون منتظم الخلقة ..

— أليست ثورة الشباب هي أحد ملامحه ؟

— أظن أنها أحد مظاهر الوحش .. إنها أحد دلائل الشيء ..

ولكنها ليست الشيء نفسه ..

— هل أنت متفائلة بطبعك ؟ ..

— لم أدرس نفسى جيدًا .. أحيانًا وأحيانًا .. لكن الذى يهمنى

هو محاولة رؤية الغد .. ربما تسرب إلى الرؤية بعض تمنياتى

الخاصة .. وكذلك بعض استنتاجاتى المبينة على القراءات
والمشاهدات ..

— هل تقرئين كثيرًا ..

— كثيرًا جدًا .. أغلب وقتنا أنا وزميلتى نغضيه فى القراءة
ونتبادل الكتب .. ووجودنا فى مكتبة الكونجرس معًا يسهل
ذلك ..

— هل تعتقدين أن مجتمع الغد سيكون أفضل من مجتمع
اليوم ؟

— إنه سيكون على كل حال ابن زمانه ..

— هل سيكون مجتمعًا علميًا أو بدائيًا ؟

— الاختلاف بين العملى والبدائى هو فى المنهج . وما نسميه
العلم هو الوصول إلى المعرفة عن طريق المنهج العقلى وما نسميه
البدائية هو الوصول إلى المعرفة عن طريق غير منهجى وغير
عقلى .. ومجتمعنا قائم على أساس العلم العقلى .. وليس ما يمنع أن
يضاف إليه غدًا طريق المعرفة البدائية ..

— أهو ارتداد إذن إلى الوراء ؟

— ليس بالضبط .. يجب أولاً أن نجد كلمة أخرى غير كلمة البدائية أو البدائي .. لأنه في الحقيقة لا توجد بداية أو نهاية في هذا الكون ... المقياس العقلي هو الذى اخترع هذه الكلمة ، لأنه لا بد أن يعمل في نطاق زمنى أو مكاني محدد .. أى لا بد لهذا الجهاز من نقطتين ، نقطة ابتداء ونقطة وصول .. لكن الكون أو الطبيعة لا تعرف ذلك .. إنها تعرف فقط التحولات والتغيرات المستمرة ..

— ألا يوجد إذن سير إلى الأمام ؟! ...

— بدون شك .. عندما يختار الإنسان طريقاً ويسير فيه فإنه يتقدم .. وهذا ما حدث للإنسان عندما اختار السير في الطريق العقلي .. وصل فيه إلى هذه المخترعات المذهلة ولكن الإنسان قبل أن يختار الطريق العقلي كانت في تركيبه قوى مذهلة أيضاً .. كان في داخله جهاز رادار .. وكانت لديه حدة هائلة في الإبصار ، سواء في المنظور أو غير المنظور .. وكان يستطيع التحكم في أشياء خارجية بمصادر خفية لقوى داخلية .. ولكن هذا الإنسان خطر له ذات يوم أن يستخدم أداة مع يده كفرع شجرة أو قطعة من

صخرة، فإذا به يخترع المدينة والحربة، أى يكتشف فيه العقل الذى يفكر ويستخدم ويخلق ويخترع، وحلا له ذلك فشغل هذا الجهاز العقلى فى اختراع تلو اختراع، وأصبح مبهورًا بمخترعاته فاعتمد ونسى ملكاتها الأصلية فضمرت وتلاشت .. ومضى فى طريقه العقلى يخلق ويخترع ويكتشف حتى وصل إلى مجتمعنا اليوم .. مجتمع التكنولوجيا الحاسبة والعاقلة تفكر له وتعمل .. — إذن هناك خطر على مجتمعنا هذا أن تضمر فيه أيضًا ملكة

التفكير ؟

— ليس بهذه السرعة ولا بهذه السهولة .. ولكن الذى يحدث من حين إلى حين هو التنبه والالتفات إلى البحث عن المصادر الأخرى للمعرفة غير مصدر العقل العلمى المنهجى .. من ذلك اهتمام بعض العلماء بالروحانيات أو بالتحليل النفسى وما يسمى بالمناطق غير الواعية ، ثم ظهور المذاهب الفنية التى تحاول أرتياد منابع التلقائية فى فنون الأطفال أو القبائل القرية من بيئة الإنسان الأول ..

— ألا تعتقد أن ثورة الشباب هى أيضًا بادرة من هذه

البوادر ؟

— محتمل جدًا .. الشباب بالطبع لا يفكر في ذلك هكذا بطريق مباشر ، ولكن ربما كان الجو العام لمجتمعنا التكنولوجي يشير فيه تلقائيًا الرغبة في الانفلات من مداره ، إما عن طريق العودة إلى بيئة الإنسان الأول بعريه وتحرره الاجتماعي ، وإما عن طريق الانطلاق من العقل كله بعقاقير تقذف به بعيدًا عن عصرنا ..

— هل تعتقد أن شباب العالم متحد في هذا الاتجاه ؟

— بالعكس .. هناك ظروف كل شعب على حدة ، وما ينطبق على مجتمع لا ينطبق تمامًا على مجتمع آخر .. كذلك الشباب نفسه يختلف بعضه عن بعض .. ولكن كلامي منصب على مجتمع مثل مجتمعنا هذا الرأسمالي أو التكنولوجي ...

— هل هناك أشياء يتحد فيها شباب العالم على اختلاف مجتمعاته واختلاف شعوبه وأجناسه ؟

— نعم ... هي الإحساس بروح العصر الجديد .. إنه إحساس شباب العالم كله اليوم بوحدة العصر ووحدة العالم .. وبالمستقبل المتحرر من القديم البالي .

— كيف يمكن التوفيق بين رغبة التحرر من القديم ورغبة

العودة إلى البدائية ؟

— البدائية ليست هي القديم .. إنها الفطرة السليمة الأبدية في

الإنسان .. وإذا أخذت بالمعنى المتعارف عليه في الفنون كما قلت

من تشكيلية وموسيقية فإنها تعنى شيئاً مهماً . أما القديم فالمقصود

به التقاليد والعادات والأذواق التي راقى للسلف ويريدون

فرضها على الخلف فرضاً مجرد كونها قديمة ، كاعتبار خلع القبة

عند التحية أدباً .. أو حلق الشارب أو الشعر واجباً ، أو تذوق

هذا النوع من الموسيقى أو من التصوير والنحت أو من الكتب أو

الأدب تهذيباً ..

— هل تحبين بيكاسو ؟

— أحب بيكاسو وكاندنسكى وبول كليه ، لأنه التفتوا إلى

الفن الأفريقي البدائي لدراسة أسرارهِ ، ولو كان يتهوفن حياً

لاستلهم موسيقى الزنوج كما استلهم موسيقى الغجر في سيمفونيته

السابعة .. وكما استلهم شكسبير المهرجين في نكاتهم وبداءتهم ..

إن العظيم يرى الأشياء عظيمة والصغير يراها

صغيرة ..

— لو فرض ولم يخطر للإنسان البدائي أن يختار طريق العقل واستمر في طريق قواه الأخرى الخفية ، إلى أى مدى كان يمكنه التقدم فيها ؟

— لا أستطيع الإجابة عن هذا السؤال لأنى عاجزة عن تصور الإنسان بغير تقدمه العقلي ..

— إذن أنت مع التقدم ، ولست مع تدمير التقدم ؟

— بدون شك .. ولكن يجب دائماً أن نحدد معانى الألفاظ ..

ما هو معنى التقدم ؟ لقد سبق أن قلت إن الطبيعة لا تعرف غير التحولات والتغيرات الضرورية والصالحة للحياة .. فهى مثلاً لو فهمت التقدم كما نفهمه لجعلت الخلية الأولى تتقدم فى زيادة الحجم تقدماً مطرداً ومنتظماً .. فالنملة مثلاً تؤدى إلى الفأر ثم إلى القطعة ثم إلى الكلب ثم إلى الإنسان ثم إلى البقرة وإلى الفيل إلى أن تصل اليوم إلى الدينصور .. ولكن الذى حدث هو أن هذا التقدم الضخم فى الحجم جاء قبل الإنسان الصغير الحجم نسبياً بنحو سبعين مليون سنة .. إذن هى تحولات وتغيرات طبقاً لظروف محيطه .:

وما نسميه بالتقدم أو التضخم العقلى للإنسان اليوم قد يصل غداً إلى حد يجعل من الضرورى لحياته أن تحدث له تحولات وتغيرات أخرى ..

— هل هناك أمل أو وسيلة لكى يسترجع الإنسان بعض ما فقده من القوى الخفية البدائية ؟

— أظن هذا يحدث فى كل عصر من عصور التاريخ فهناك دائماً محاولات لمن يسمونهم السحرة أو الكهان أو فقراء الهند .. من الحقيقين طبعاً لا المشعوذين .. وقد وصل بعضهم بنوع من المران الطويل أو التصوف أو التجرد الروحى أو الشفافية النفسية إلى شىء من التحكم فى الأشياء البعيدة وتحريكها ونقلها بقواه الداخلية وحدها دون أى تدخل مادى ..

— ما رأيك لو استطاع النوع البشرى كله استرجاع هذه القوى الخفية ؟

— سيكون ذلك بالطبع شيئاً رائعاً .. ولكنى لا أريد أن أكون موجودة لأرى ذلك ...
— لماذا ؟

— يخبيل إلى أنى لن أكون سعيدة فى عالم كهذا .. نعرف فيه
ولا نخلق ..

— هل هى عادة تشغيل جهاز العقل ؟
— لست أدرى .. ولكنى لو خيرت بين أن أكون جهازًا
كاملاً للمعرفة ولا أنخلق أو أن أكون جهازًا ناقصًا وأنخلق فإنى
أفضل الثانى...

— ألم يسبق لك أن تعاطيت المخدرات ؟
— لا ..
— ألم تصاد فى أحدًا يغريك بهذه التجربة ؟
— صادفت طبعًا ... ولكنى قاومت الإغراء .. خفت أن أقع
أسيرة هذه العادة ..

— إذن أنت تحافظين على القيم ؟
— طبعًا .. القيم الصالحة للبقاء ..
— أنت إذن لديك روح المحافظة ؟
— نعم ..
— كيف تتفق إذن روح المحافظة مع روح التدمير ؟

— لا أدري ..

— أشكر ..

التفت المحامى نحو المحلفين وقال :

— نحن ندرى الآن ... ندرى أن موكلتى فى حقيقتها
وأعماقها محافظة ، ولا يمكن لمثلها أن يعرف التخريب أو يقصد
التدمير .. ولا حاجة لى أن أتكلم أكثر من ذلك... فإجابتها
أمامكم واضحة ولا يمكن أن تصدر عن شخص يوصف بما
وصفها به الادعاء ..

وعاد المحامى إلى مكانه .. ورأى القاضى أن المدعى العام قد لازم
الصمت ولم يطلب العودة إلى سؤال المتهمه ، فأشار إليها بترك
مقعد الشهادة .. ورفع الجلسة على أن تعقد فى اليوم التالى ..
وفى اليوم التالى عدنا لنجد فى انتظارنا مفاجأة أدهشتنا
وأدهشت الحاضرين .. فقد أحضر المدعى العام شاهداً لم يكن فى
الحسبان وطلب من المحكمة سماع أقواله . كان هذا الشاهد
قسيماً .. تكلم وقرر أن المتهمين الرجلين جاءا إليه ذات يوم منذ
ثلاثة شهور ليعقد بينهما الزواج !.. كما أنه فى نفس اليوم حضرت

إليه المتهمتان المرأتان وطلبنا نفس الأمر ، وهو عقد الزواج بينهما
وقد رفض هذا النوع من القران الذى يجمع بين اثنين من نفس
الجنس .. وعندئذ قام المدعى العام يناقشه قائلاً :

— هل تعتبر هذا النوع من الزواج مخالفاً للدين ؟
فأجاب :

— ومخالف لقوانين الدولة ، ولأخلاق المجتمع ..

— وما هو غرض المتهمين من هذا التصرف ؟

— لا أدرى .. إنه تصرف شاذ على كل حال ..

— هل يقصدون بهذا التصرف الشاذ هدم القيم ؟

— هذا فعلاً هدم للقيم ...

— شكراً ..

وجعل المدعى العام يعلق على ذلك قائلاً :

— لا شك أن ما سمعناه الآن من القس المحترم ينفى نفيًا قاطعاً ما

سمعناه بالأمس من الدفاع عن محافظة المتهمة على القيم .. وأن

المتهمين الذى تبلغ بهم الجرأة أن يقدموا على تصرف شاذ كهذا فيه

تخريب لأفكار المجتمع ، لا يستكثر عليهم تخريب تمثال الحرية أو

حرق مكتبة الكونجرس !..

وعندئذ قام محامى المتهمة الثانية يطلب سماع أقوالها مرة أخرى كشاهدة .. فنهضت وجلست فى كرسى الشهادة .. فسألها :

— قلت لنا بالأمس أنك تحافظين على القيم فكيف تفسرين هذا

التصرف الذى سمعناه الآن ؟

فأجابت بغير تردد :

— ما قلته بالضبط هو أنى أحافظ على القيم الصالحة للبقاء ..

— وما هو المقياس لما يصلح للبقاء وما لا يصلح ؟

— ما لا يصلح للبقاء هو ما يبقى بعد زوال أسبابه ..

— وهل زالت أسباب الزواج بين الذكر والأنثى ؟

— لا بالطبع .. ولكن زالت أسباب التحريم للزواج بين الذكر

والذكر وبين الأنثى والأنثى ..

— كيف حدث هذا ؟ أرجوك توضيح هذه النقطة ..

— يجب أن نسأل أولاً لماذا شرع الزواج بين الذكر والأنثى .

كان الأساس فى ذلك طبعاً هو النسل والتناسل .. فى الماضى كان

النسل نعمة .. واليوم النسل نقمة بعد أن هدد الانفجار السكا فى

العالم بالكوارث .. وفي مجتمع النسل الذى عاش آلاف السنين كانت التشريعات تقوم على حماية النسل والحض عليه فكان من الطبيعى أن يفهم الزواج على أنه المؤدى إلى النسل .. وهذا لا يكون إلا بالجمع بين الذكر والأنثى .. وحورب كل اقتران آخر لا يؤدى إلى التناسل خوفا من التناقص .. فى زمن كان التكاثر هو مفخرة الأسر والقبائل والأُمم .. أما اليوم فالأمر قد اختلف .. وبعد مجتمع النسل أصبحنا فى مجتمع تحديد النسل فما هو إذن وجه التحريم لقران لا يؤدى إلى نسل ؟ إذا كانت أسباب التحريم قد زالت فلماذا يبقى التحريم ؟

— ولماذا أردت الزواج من زميلتك ؟

— هذه رغبتنا المشتركة...

— أهى المعاشرة الجنسية ؟

— لو كانت المعاشرة الجنسية لاستمرت فى الخفاء ، ولما كانت

هناك ضرورة لإعلانها .. ولكننا أردنا أن نقيم علاقتنا على أساس

شرعى تأكيدا وإظهارا لرغبتنا فى ضرورة إعادة النظر فى أسباب

التشريع وأصول الشرائع ...

— هل كان ذهابكم أنتم الأربعة لعقد هذا القران في نفس الوقت بناء على اتفاق سابق بينكم ؟ ..

— نعم .. لقد خطرت لنا الفكرة ونفذناها معًا ..

— هل كنتم تقصدون تحدى القوانين ؟

— لا .. كنا نقصد فقط لفت النظر إلى زوال أسباب هذه

القوانين .. وأن عصرنا يجب أن يعيد فيها النظر ...

— ولماذا اخترتم قانون الزواج بالذات ؟

— لأنه أشدها لفتًا للنظر .. هناك قانون آخر أقل شأنًا .. هو

تحريم الإجهاض .. وذلك في وقت يشجع فيه تناول أدوية منع

الحمل .. أيوجد تناقض أكثر من هذا ؟ ولكنه جبن المجتمع عن

إلغاء تحريم قديم ..

— ما هي أسباب هذا الجبن للمجتمع ؟

— خوفه من مناقشة المسلمات ... وعجزه عن التحرر من

العادات ..

— إذن كان غرضك هو الدعوة إلى مناقشة المسلمات

والعادات ؟

— نعم ..

— ولكن الادعاء يعتبر هذا الفعل من قبيل هدم قيم المجتمع ؟

— إذا لن تكن هناك مناقشات حرة للمسلمات والعادات

فكيف تنتقل البشرية من مجتمع إلى مجتمع ؟ إن الديانات السماوية

لم تقم إلا على أساس الدعوة إلى مناقشة المسلمات والعادات

الراسخة في العهود الوثنية ..

— أنت تعتبرين إذن مناقشة المسلمات عملاً مشروعاً ؟

— نعم ... وأكثر من ذلك .. هو ضرورة اجتماعية ..

ونحن الآن في صدد التمهيد لمجتمع القرن الحادى والعشرين فلا بد من

مناقشة المسلمات التى لا يناقشها أحد .. ونفحصها بحرية وعناية

لنرى هل أسبابها موجودة أو زالت أو ضعفت ولكنها هى بقيت

بالعادة ورسخت بالتحجر والتقديس العقيم الذى يشبه الوثنية ..

كانت الوثنية تقديس الأحجار .. ونحن نقدر الأفكار ..

— إذن لم يكن قصدك الإضرار بالمجتمع ؟

— بالعكس ..

— أشكرك ..

وتركها قائلاً للمحلفين :

— أيؤخذ من هذه الأقوال أن موكلتى من طائفة المخربين أو هى
من طائفة المصلحين ؟ أرجو أن تكون قد زالت من أذهانكم
الصورة القائمة التى أراد أن يصبغها بها الادعاء ..

وقام الادعاء يستجوب بدوره المتهمه مستهلاً كلامه بالسخرية
من كلمة المصلحين .. وسأل المتهمه :

— هل تعترفين بوجود الأخلاق ؟

فقلت :

— بالطبع أعترف ..

— بماذا تصفين إذن من يخرب عامداً هذه الأخلاق ؟

— لا أريد أن أكرر ما سبق أن قلت ، وهو أنه يجب أولاً تحديد
معنى الكلمات ولا سيما الكلمات الكبيرة .. فإن أكبر الأخطاء
تأتى من إطلاق كلمة ضخمة نسلم بها قبل أن نفحصها ... ما هو
المقصود بكلمة الأخلاق ؟

— هو ما تعارف عليه المجتمع أنه من أخلاقياته ..

— يجب أيضاً أن نحدد ذلك المجتمع بأنه مجتمع بالذات فى زمن

بالذات .. فقد كان من أخلاقيات زمن مضى ومجتمع مضى أن المرأة التي تدخن ليست فاضلة والتي تسير بغير قبعة تعتبر مستهترّة ، وأن لباس السهرة الرسمي للرجل هو الفراك وصدر القميص الأبيض المنشى الذى يخنقه طول الليل ، فى حين أن ثوب المرأة الرسمي هو العارى الصدر والكتفين والظهر .. ومن يذهب إلى حفلة رسمية بغير ذلك يعتبر خارجاً على الآداب واللياقة وحسن السلوك ..

وهنا علت أصوات الضحك من الحاضرين مما اضطر القاضى إلى الدق بمطرقة ليعيد النظام .. وبدأ الامتعاض على وجه المدعى العام ، وقد رأى المتهمه تخرج بالإجابة إلى مجال لا يريده ..
فأسرع يقول لها :

— أنت تعرفين أننا نتكلم عن مجتمعنا الحاضر ، وأنت تخرجين على قوانين هذا المجتمع ، فهل أنت معترفة بذلك ؟
— أرجو أن تحدّدوا لى هذه القوانين التى يقال أنى خرجت عليها .

— أولاً شروعت فى تخريب تمثال الحرية ..

— إذا اقتنع المحلفون واقتنعت المحكمة بأني مذنبه وكان قصدى فعلا التخريب فأنا مستعدة للجزاء ..

— ثانيا اعترافك بالذهاب إلى القسيس ليعقد زواجا غير شرعى على زميلة لك ؟

— وما هى الجريمة فى هذا ؟ إننا لم نفعل شيئا فى السر .. ولم نزر شهادة ... ولم نستعمل ضغطا ولا إرهابا .. لقد ذهبنا فى وضوح النهار ، وبكل لطف وأدب نسأل القسيس أن يعقد هذا القران ، فامتنع وأفهمنا أن هذا لا يجوز فانصرفنا وانتهى الأمر عند هذا الحد من جانبنا وقد اعتقدنا أن القس من جانبه سيبلغ الجهات المختصة ويحدث الدوى الذى قصدناه ..

— إذن لقد اعترفت الآن أمام المحكمة أن غرضكم من هذا هو التظاهر ولفت الأنظار إلى أنكم تريدون هدم القيم التى يدين بها المجتمع ..

— وماذا فى لفت الأنظار ؟ أليس هذا من حقنا ؟

— هل من حقكم الترويج لفكرة هدم القيم ؟

— أليس من حقنا فحص وتمحيص حقيقة هذه القيم ؟

- من الذى أعطاكم هذا الحق ؟
- العقل الذى فى رؤوسنا يفكر ..
- إذا كان كل فرد يعطى لنفسه الحق فى الإخلال بالنظام المعمول به لخرب كل شىء ..
- أحيانًا لا يكون فى ذلك خراب بل صلاح ..
- كيف يكون هذا ؟
- كان مثل هذا فى يوم من الأيام ، دخل المسيح المعبد وطرده التجار ، واعتبروا ذلك وقتئذ إخلالًا بالنظام المعمول به فى مجتمع ذلك العهد ..
- وهل المسيح فرد عادى ؟
- فى نظر مجتمعه كان كذلك ... الناس والسلطات .. أكثرهم كان يعتبره فردًا عاديًا ..
- وماذا كانت النتيجة ؟ ألم يقبضوا عليه ويقدموه إلى المحاكمة ثم إلى الصليب كأى فرد من الأفراد ؟
- بعد أن أدى رسالته ..
- وما هى رسالته ؟

— الحب والسلام بين البشر ..

— هل تؤمنين بالمسيح ؟

— بالطبع .. لأنى أؤمن بالحب والسلام ..

— وهل تؤمنين بتعاليم الكنيسة وقوانين المسيحية ؟

— من آمن بالحب والسلام فقد آمن بكل شيء .

— لا تهربى من السؤال .. أريد إجابة محددة : هل تؤمنين

بالقيم السائدة فى المجتمع طبقاً لتعاليم الكنيسة ؟

— لا نخيفونا دائماً بكلمة القيم .. نحن لا نعرف غير قيمة

واحدة هى : عدم الإضرار بأحد ، والامتنياز فى عمل ينفع

الآخرين ..

— مثل التفكير فى حرق مكتبة الكونجرس ؟

وعندئذ صاح محامى المتهمة محتجاً .. وعنّف الادعاء لتلميحه

المستمر إلى كلمة بدرت من موكلته عن خطرة من الخطرات لم

تأخذها على سبيل الجد .. وطالبه بمراجعة المستندات التى فى ملف

الدعوى ومنها شهادات التفوق والامتنياز فى الدراسات الجامعية

وشهادات الثناء والتقدير من رؤوسائها فى العمل بمكتبة

الكونجرس ..

فأطرق المدعى العام قليلا .. ثم رفع رأسه واستأنف
الاستجواب قائلا :

— ليس هناك اعتراض على امتيازك الدراسى والعملى .. ولكن
الاتهام موجه إلى انحرافك الاجتماعى ..
— عندما يكون المجتمع نفسه منحرفا فكل شئ فيه يبدو
كذلك ..

— ولماذا لا تكونين أنت المنحرفة وترين المجتمع كذلك ؟
— على هذا المجتمع إذن أن يثبت أنه لم ينحرف إلى العدوان ،
وأنه ليس مجتمعا عدوانيا خطرا على سلام البشرية ..
— إذا كنت ترين من حقلك أن تكيلى التهم لهذا المجتمع ، وأن
تعملى مع غيرك من الشباب المنحرف المتهور على تخريب أسسه
وتدمير قيمه ، أليس من الواجب الضرورى على هذا المجتمع أن
يطاردكم بشتى الوسائل ويزجركم ويعاقبكم ويبردكم إلى
الصواب ...

— الصواب ؟ أى صواب ؟ .. ما من أحد يثق فى صواب يأتي

من مجتمع دمر ثقنتا فيه ، وجعل آفاق مستقبلنا حمراء بالدماء. كل
أزمة العصر أننا فقدنا الثقة ..

— ألا ترون أنكم ضحية تدليل المجتمع لكم أكثر مما ينبغي ،
وأن الطريقة الوحيدة لإصلاحكم هي أخذكم بالشدة ؟

— ونحن ننتظر آملين هذه الشدة ؟

— آملين ؟ ما معنى ذلك ؟ ..

— معناه أن أى مقاومة لنا لن تفلح ، بل ستؤدى إلى زيادة
الثورة عليكم ، ثم إلى الانفجار ...

— أتظنون أن القمع والعقاب لا ينفع ؟

— جربوا .. ضعونا على الصليب كما وضعوا المسيح : لقد
رفعوه على الخشبة فرأته البشرية كلها وستظل تراه وتسمع صوته
وهو يقول « يا رب اغفر لهم فهم لا يعرفون ما يفعلون » ..
وسنقول نحن أيضاً : « اغفر لأهل عصرنا ، فهم لا يعرفون فى أى
مجتمع يعيشون » ..

— ألا شئ يعجبكم على الإطلاق فى هذا المجتمع ؟ أكل شئ

فيه تريدون رجه بالحجارة ؟

— لا ... أبدًا ... هناك أشياء عظيمة وجميلة لا بد من صيانتها ونقلها إلى الأجيال الجديدة والعصر الجديد ، والقرن الحادى والعشرين ...

— ومن الذى يصونها وينقلها ؟ هذه الأجيال الجديدة من الشباب الضائع المخدر المستهتر المخرب المتصعلك الهائم النائم فى الطرقات ؟

— هؤلاء كما قلنا هم الطلائع المضحاة ، هم فرق الانتحار .. هم الطيور المهاجرة التى تسقط فى البحر ليصل غيرها سالمًا إلى البر .. هم الذين يتقدمون فى كل ثورات التاريخ برفع رايات العصيان ويطلقون الصيحات الأولى المشوشة والشعارات المتطرفة وتختلط عندهم الأفكار الجريمة بحركات الشغب الطائشة .. الغوغائية .. ولكن بعد ذلك هى الثورة ..

— ماذا تقصدون بالثورة هنا ؟

— أقصد ثورة الشباب الحقيقية ، التى بدأت ببعض المظاهر ككل الثورات ورفض الوصاية على أسلوب حياتهم الجديدة ، ليشعروا أن شيئًا قد تغير ، ويشرعوا بعد ذلك فى حمل مسئولياتهم

الكبرى لتغيير وجه العالم ..

— وكيف يغيرون وجه العالم ؟ بتخريب ملامحه ؟

— نعم .. ملامحه القبيحة السيئة .. يجب أن تتذكروا أن هذه

الأجيال الجديدة التي تشاهدونها تمرح في الظاهر كما تشاء ، هي في الباطن تلك التي تملأ مقاعد الجامعات والمكتبات وتنكب تبحث في المعامل تحت العدسات .. وهي التي ستجرد وتفحص كل منجزات البشرية العظيمة النافعة لتزيد عليها وتنقلها إلى القرن الحادى والعشرين .. كل ما تطلبه منكم أن تتخففوا قليلا من عقدة الوعظ والزجر ومن شهوة البطش والقهر .. فالأجيال الجديدة فيها غريزة البقاء الحضارى ، وتعرف واجبها في المحافظة على حضارة الإنسان والاستمرار بها في طريق التطور والتقدم بأسلوب حياتها هي الجديدة لا بأسلوب حياتكم أنتم ! ..

— إنك لم تردى على التهمة بل تحاولين التهرب بالكلام

الخطاى .. باختصار هل أنت معترفة بالشروع في تخريب تمثال الحرية ؟ أجيبى بنعم أو بلا ! ..

— لا ..

— يكفى هذا.. شكرًا ..

والتفت إلى المحلفين وقال :

— إن المتهمة كما لاحظتم تصر هي وشركاؤها على تكذيب

الوقائع الملموسة وتغليف الجريمة بستار من دخان العبارات

الرنانة .. وهم يرددون أن القضية هي قضية القرن الحادى

والعشرين .. ولكن الحقيقة أنها قضية تخريب المجتمع الإمبريالى

الرأسمالى .. مجتمعكم ، مجتمعنا الذى نشأنا فيه ، ويجب أن

تذكروا ذلك ..

ورفع القاضى الجلسة على أن تستأنف فى اليوم التالى ..

ولكنى فى اليوم التالى لم أستطع النهوض من فراشى .. فقد

مرضت بفضل الأكل فى المطاعم الأمريكية الذى لم تقبله معدى .

وما أن رأيت صاحبى الصحفى حتى صارحته برغبتى فى العودة

إلى بلدى بأول طائرة .. فحاول إقناعى بالانتظار حتى تعرف

الحكم فى القضية .. فقلت له إن الحكم لا يهمنى — والمهم عندى

هو القضية نفسها .. وقد عرفت منها أشياء كثيرة .. فامتثل ..

وقام يحجز لى مكانًا بالطائرة ، وودعنى بحرارة .. ولم يمض قليل

حتى كنت أحلق في الجو فوق تمثال الحرية وأسترجع ما دار بشأنه
من كلام .. ووصلت إلى وطني بسلام .. وما أن استعدت بعض
الصحة حتى أمسكت بالقلم وشرعت أدون في هذه السطور ما
رأيت وما سمعت ..

* * *

فهرس

صفحة

١٧	 حلقات الأجيال
٢٣	 تبعات الأجيال
٣١	 انفصال الأجيال
٣٦	 تصادم الأجيال
٤١	 تجاهل الأجيال
٤٧	 حرمان الأبناء
٥١	 صنع الأجيال
٥٥	 أجيال الطبيعة
٥٩	 تنوع الأجيال
٦٤	 مبدأ الأجيال القادمة
٧٠	 شبح جيل
٧٧	 بين جيلين

٨٥	 تلاقى الأجيال
١١٠	 مسئولية أدباء الشباب
١١٧	 الشباب والتجديد فى الشعر
١٢١	 تحذير للشعر الجديد عند الشباب
١٢٤	 الصديق أساس التجديد عند الشباب
١٣١	 الشباب والشيطان
١٤٥	 البعث على يد الشباب
١٤٨	 قضية القرن الحادى والعشرين

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٣٣٤ / ١٩٨٨

الترقيم الدولى ٦ — ٠٣٩٤ — ١١ — ٩٧٧

مكتبة مصر
٣ شارع كامل صدقي - الفيحاء

الثلث ٣٠٠ قرش

دار مصر للطباعة
سميد جودة السحار وشركاه